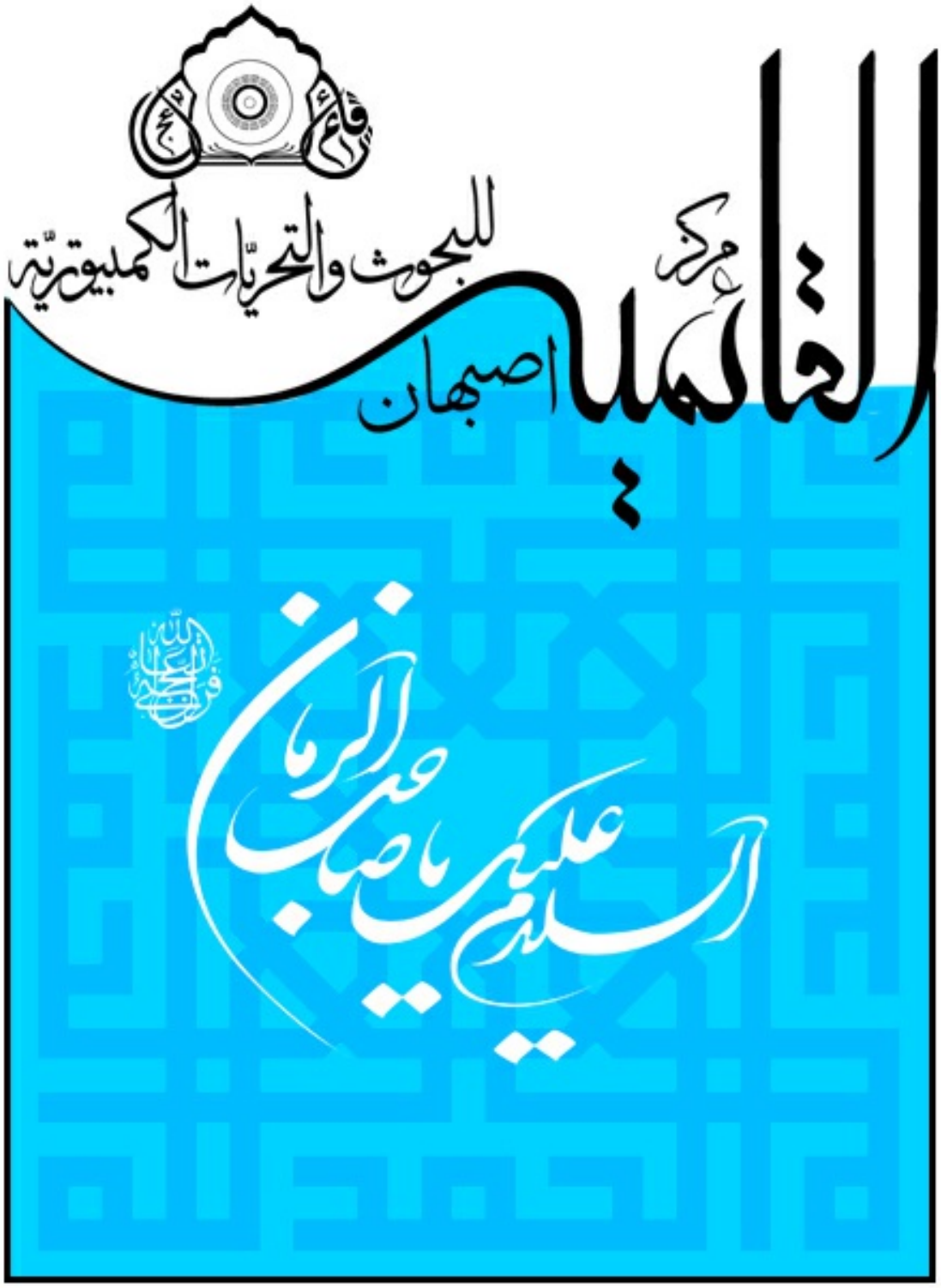

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

المقداد ابن الأسود الكندي

أوّل فارس في الإسلام

تأليف

الشيخ محمد جواد الفقيه

بسم الله الرحمن الرحیم

المقداد ابن الاسود الكندي اول فارس في الاسلام

كاتب:

محمد جواد آل الفقيه

نشرت في الطباعة:

دار التعارف للمطبوعات

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

المقداد ابن الاسود الكندي اول فارس في الاسلام 9

اشارة 9

اشارة 9

مقدمه الناشر 13

التقديم 15

المقداد بن عمرو البهرائي 23

صفاته وأخلاقه 26

إسلامه 28

مع الرسول الأعظم في دار هجرته 31

اشارة 31

مع الرسول الأعظم في دار هجرته 33

عام الحزن 33

أول هجرةٍ للرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) 36

خروجه إلي الطائف 37

النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعرض نفسه علي القبائل 40

دخول الإسلام يثرب 42

الإعداد للهجرة 47

مبيت علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في فراش الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) 49

الهجرة 50

النبي الأعظم في المدينة 56

بين الرسول الأعظم والمقداد 59

من مواقفه البطولية 65

اشارة 65
في سرية « نخلة » 67
في غزوة بدر الكبري 71
قريش تتجهز للخروج 74
« رجوع بني زهرة الي مكة » 76
النبي في طريقه الي بدر 77
موقف المقداد 78
النبي(صلي الله عليه و آله) في وادي بدر 79
قريش تنزل الوادي 80
استعداد المسلمين للحرب 80
غرور أبي جهل 81
بدء القتال 82
مقتل عتبة وشيبة والوليد 83
النضر بن الحارث 88
غزوة أُحد 90
نزول قريش قرب المدينة 91
النبي يستشير أصحابه 91
النبي يتجهز للحرب 93
خطبة النبي في أصحابه 94
المشركون يُسوون صفوفهم 96
بدء القتال 96
سبب هزيمة المسلمين 99
قصة قزمان 100
مقتل اليمان وثابت بن قيس 101
قتال الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ودفاع علي 102

جراح الرسول(صلي الله عليه و آله) ـ 103
النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يدعو المسلمين ـ 105
مقتل الحمزة بن عبد المطلب ـ 105
حزن النبي علي عمه حمزة ـ 107
أبطال خالدون ـ 109
سعد بن الربيع ـ 110
عمرو بن الجموح ـ 111
حنظلة بن أبي عامر « غسيل الملائكة » ـ 113
السمداءُ بنتً قيس ـ 114
صفية بنت عبد المطلب ـ 114
مخيرق ـ 115
نسيبة بنت كعب ـ 115
غزوة الغابة ـ 118
غزوة خيبر ـ 124
زوجته وأولاده ـ 132
اشارة ـ 132
موقف الإسلام من الزواج ـ 134
« قصة جويبر وجليبيب » ـ 137
تزويج المقداد بن الأسود ـ 140
« بين الأشعث بن قيس والإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) » ـ 142
زوجة المقداد وأولاده ـ 145
الشوري ، وموقف المقداد منها ـ 148
اشارة ـ 148
شبح المؤامرة ـ 150
فكرة الشوري وابعادها ـ 152

سير عملية الشوري وما أفرزت من تناقضات 162
صوتين ، فهو حتي الآن مركز الثقل حقاً. 165
خلفيات الشوري 168
بدء المعارضة 170
قصة الهرمزان ، ومقتله علي يد بن عمر 173
بين المقداد وعثمان 177
تَشَيُّع المقداد ودعوته الناس لعليّ 183
علي لسان النبي(صلي الله عليه و آله) والأئمة 188
وفاته رضي الله عنه 190
أسماء الذين رووا عنه 192
المصادر والمراجع 193
الفهرست 197
تعريف مركز 200

المقداد ابن الاسود الكندي اول فارس في الاسلام

اشارة

المقداد ابن الاسود الكندي اول فارس في الاسلام

تاليف: شيخ محمد جواد آل الفقيه

دارالتعارف للمطبوعات

بيروت – لبنان

زبان: عربي

تعداد صفحات : 188ص

ص: 1

اشارة

المقداد ابن الاسود الكندي اول فارس في الاسلام

تاليف: شيخ محمد جواد آل الفقيه

ص: 2

مقدمه الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وبعد

فإن من حسن توفيق « دار الفنون » أن قامت بالتعاون مع « مؤسسة الأعلمي » بانتاج سلسلة الأركان الأربعة (ابو ذر الغفاري وعمار وسلمان والمقداد) وهذه السلسلة هي باكورة نشاطهما في حقلي الثقافة العامة والتراث الإسلامي.

والآن نضع بين يدي القارئ الكتاب الثالث من السلسلة (المقداد) آملين من الله أن نكمل السلسلة عما قريب.

هذا وإننا نعلن بأننا قد عقدنا العزم علي السير قدماً في مسيرتنا الثقافية هذه آملين من الله سبحانه مزيداً من التوفيق والبركات هو حسبنا ونعم الوكيل.

الناشر

التقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

* بين يدي القارئ :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علي خير خلقه وأعزهم عليه محمد وعلي آله الطيبين الطاهرين ، وصحبه الميامين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين ، وبعد :

بين يديك صحائف تحمل شيئاً من سيرة الصحابي العظيم « المقداد بن عمرو » أحد الأركان الأربعة وأحد السابقين ، كما تحمل في نفس الوقت شيئاً من تأريخ تلك الفترة المشرقة التي عاشها والتي أعطي فيها من فكره وعرقه ودمه ما يعطيه العظماء لأممهم وأمجادهم وتواريخهم ، حيث كان له شرف المشاركة في تأسيس وتثبيت دعائم الإسلام وهو بعد في نأناَتِه وضعفه.

والتاريخ قد يظلم بعض العظماء ، ويجحف في حقهم – علي عادته – فقد فوجئت بسيرة هذا الصحابي البطل متناثرةً هنا وهناك في بطون الكتب مما يعني أن ثمة إهمال قد امتدت يده إليها – لا أدري إن جاء عن قصد ، أو هو من صنع السنين ! – فكان لي شرف لملمتها وصوغها بالشكل الذي أرجو أن يكون مناسباً ، ولقد واجهت شيئاً من المصاعب والمتاعب في هذا السبيل ، إلا أن غبطتي في إتمامها وانجازها توازي في أثرها ما واجهت.

لقد إمتاز هذا الصحابي العظيم بصفة تفرد بها دون من سواه من الصحابة ، تلك هي صفة « الفروسية » وهي صفة غير عزيزة ولا نادرة لولا أنها كانت محكومةً لظروف صعبة حرجة ، فهي مبتذلة إذا لوحظت مجردةً عنها ، وعزيزة نادرة ذات بال

وإهمية إذا لوحظت من خلال الظروف الصعبة التي عاناها المسلمون الأوائل ؛ ومن هنا جاءت أهميتها فقد شاءت المقادير أن تقع أول حرب بين المسلمين ومناهضيهم من المشركين وليس في المسلمين فارس غير المقداد بن عمرو ، وبذلك نال وسام « أول فارس في الإسلام » ناله بجدارة واستحقاق.

روي عن علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن عمرو. » وعن القاسم بن عبد الرحمن قاله : « أول من عدا به فرسه في سبيل الله المقداد .. » (1).

وظلت هذه الصفة المميزة ملازمة له طيلة حياته ، فما دعي الي جهاد قط إلا وأجاب ، وقد شهد المشاهد كلها مع رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كما شهدها من بعده وهكذا ، قضي عمره فارساً في ميادين الجهاد حتي وافاه أجله ، وكانت العقيدة بالنسبة له ، خبزه اليومي الذي به ومن أجله يعيش.

من هنا ، فإن تاريخ المقداد ، يعني تاريخ تلك الحقبة وما جري فيها من الوقائع والحروب » نظراً لموقعه منها ومواقفه البطولية فيها ، وهذا ما دعاني إلي سرد بعضها سرداً كاملاً ، فلكي نفهم هذا الرجل علي حقيقته ، علينا أن نتناول أهم جانب في حياته نحدد به شخصيته وطموحه وأهدافه ، أما بدون ذلك فإن سيرته تصبح مبتورةً شوهاء لا رونق فيها ولا حياة ، ويصبح مثلنا في ذلك مثل من ينقل حادثةً او منقبةً لإنسان ما دون أن يعرف عن شخصيته وظروفه شيئاً.

وأنت حين تبدأ قراءة المقداد ، فإنك ستقرأه اكثر كما ستقرأ غيره من معاصريه من خلال قراءتك لتلك « الغزوات والوقائع » وسوف تشعر وكأنك معه في رحلاته الجهادية الطويلة وهو يملي عليك حكاية أروع ملحمة حضارية في تاريخ الإنسان كان هو أحد روادها ومسطريها ، وبذلك – أيضاً – سوف تدرك عظمة هذا الرجل ومدي بلائه في الإسلام.

1- الطبقات الكبري 3 / 162.

وسوف لا ينقضـي تعجبك من خصـلة هي واحـدة من مئات ! إمتاز بها الإسـلام دون غيره وكانت شاهداً من شواهد عظمته ، تلك هي قلب العقليات والعادات التي أفرزتها الجاهلية المقيتة ، وتسييسـها من جديد علي ضوء تعاليم الله سبحانه ، وقولبتها بشكل يعيد للإنسانية شرفها ومجدها.

فمن كان يصدق أن حليفاً طريداً مشرداً عن أهله وقومه يصبح يوماً ما محط أنظارهم ومعقد آمالهم ؟!

أجل ، كان هذا أمراً مستبعداً لولا الإسلام ، فقد استطاع بفترةٍ وجيزة أن يقضي علي جل المظاهر الزائفة ، وأستطاع ان يعيد الحق الي نصابه.

والمقـداد كـان واحـداً من المشـردين ، نشـأ حليفـاً لكنـدة بادئ الأمر – تابعاً لأبيه – ثم حليفاً لبني مخزوم ، حتي قيّض له الإلتحاق بركب الإسـلام وهو في عقـد الرابع ليبدأ مسـيرة الحياة الحرة الكريمة تاركاً وراءه كل قيود الجاهلية وأحكامها مسـلماً وجهه لله وحده باذلاً نفسـه لدين الله ، وحين استقر الأمر بالمسلمين ، ونصر الله نبيه ، أقبلت الوفود تتري علي رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مبايعةً له ومسلّمةً أمرها إلي الله ورسوله ، وكان منها وفد « بهراء » قبيلة المقداد ، فكان نزولهم عليه في داره. (1)

رحم الله أبا معبد ، فلقد كان واحداً من العظماء الذين يفخر التاريخ بهم وبمآثرهم.

1- راجع الكامل 2 / 290.

بسم الله الرحمن الرحيم

« أَمَرني رَبيّ بحُبَّ أربَعَةٍ مِنْ أصحَابي ، وأَخَبَرني أنّه يُحبُّهم ! ».

فقيل : يا رسول الله ، من هم ؟

قال : « عليٌّ ، والمقداد وسلمان وأبو ذر ».

« الجنة تشتاق إليك يا عليّ ، وإلي عمارٍ ، وسلمان والمقداد ».

الرسول الأعظم(صلي الله عليه و آله)

« ما رأيتُ مثل ما أُتي إلي أهل هـذا البيت بعد نبيهم .. إني والله أحبُّهم لحُبّ رسول الله(صـلي الله عليه و آله) لهم ، ويعتريني والله وجدٌ لتشرف قريش علي الناس بشرفهم ، واجتماعهم علي نزع سلطان رسول الله من أيديهم .. ».

المقداد بن عمرو

* المقداد بن عمرو .. لماذا سمي بابن الأسود الكندي

* صفاته وأخلاقه

* إسلامه

ص: 13

المقداد بن عمرو البهرائي

هذا هو اسمه الحقيقي ، واسم أبيه وقبيلته.

فهو المقداد بن عمرو ، بن ثعلبة ، بن مالك بن ربيعة بن عامر بن مطرود (1) البهرائي (2).

ولكن ، له إسم آخر إشتهر به ، وهو : « المقداد بن الأسود الكندي ». فما هي حكاية هذا الإسم وهذه الشهرة .. ؟

كان عمرو بن ثعلبة من شجعان بني قومه ، يتمتع بجرأة عالية ربما لم تتهيأ لأحد غيره منهم ، دفعته لأن ينال فيهم دماً ، فاضطر إلي الجلاء عنهم حفاظاً علي نفسه ، وحمايةً لها من طلب الثأر ، فلحق بحَضرَمَوْت (3).

1- الإصابة 3 / 454 - 455.

2- علي الأشهر ، نسبة إلي بهراء بن عمرو ، بطن من قضاعة ، كانت منازلهم شمالي « بلي » من الينبع إلي عقبة أيله ، ثم جاوروا بحر القلزم ، واشتروا ما بين بلاد الحبشة وصعيد مصر وكثروا هناك ، وغلبوا علي بلاد النوبة .. وقدم وفد من بهراء علي الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سنة9 ه : راجع معجم قبائل العرب 1 / 110.

3- حضرموت : ناحية واسعة في شرقي عدن بقرب البحر وحولها رمال كثيرة تعرف بالأحقاف وبها قبر هود(عَلَيْهِ السَّلاَمُ). قال ابن الكلبي : إسم حضرموت في التوارة ، حاضرميت ... وقيل : حضرموت ، إسم لعامر بن قحطان ، وانما سمي كذلك ، لأنه كان إذا حضر حرباً أكثر فيها من القتل ، فلقب بذلك .. وقال أبو عبيدة : حضرموت بن قحطان نزل هذا المكان فسمي به. « معجم البلدان 2 / 270 ».

وحالف قبيلة كندة التي كانت تتمتع بهيبةٍ مميزة من بين القبائل.

وهناك تزوج إمرأةً منهم ، فولدت له المقداد (1).

نشأ الفتي في ظل أبيه ورعايته ، وحنان أمه وعطفها ، ضمن مجتمع أَلِفَ مقارعة السيوف ، ومطاعنة الرمح ، فكانت الشجاعة احدي سجاياه التي إتصف بها فيما بعد ، حتي إذا بلغ سن الشباب أخذت نوازع الشوق إلي أرومته ومضارب قومه في بهراء تدب في نفسه فتدفعه إلي تخطي آداب « الحلف » غير مكترثٍ ولا مبالٍ.

فقد أحس أن اغترابه هذا ، وبعده عن الأهل والوطن إنما حدث نتيجة لذنبٍ إقترفه أبوه حيال قومه ، وأن الحلف لا يعني أكثر من قيدٍ « مهذب » يضعه الحليف في عنقه ، وأعناق بنيه !. بالرغم من براءة ساحتهم .. كان هذا الشعور يراوده بين الفينة والفينة فتستيقظ في نفسه رغبة الإنتقام من حلفائه والتمرد علي تقاليدهم ، لذا ، فلم يكن هو الآخر اسعد حظاً من أبيه ، حيث اقترف ذنباً مع مضيفيه « وأخواله » فاضطر إلي الجلاء عنهم أيضاً.

فقد ذكروا أنه : حين كبر المقداد وقع بينه وبين أبي شمر بن حجر الكندي – أحد زعماء كندة – خلافٌ ، فما كان من المقداد إلا أن تناوله بسيفه ، فضرب رجله وهرب إلي مكة (2).

حين وصل إلي مكة ، كان عليه أن يحالف بعض ساداتها كي يمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ، لكن طموحه كان يدفعه إلي إختيار الرجل القوي المرهوب الجانب ، فكان يتريث في ذلك ، وكان يقول : لأحالفنَّ أعزّ

1- الإصابة 3 / 454 – 455.

2- نفس المصدر.

أهلها ! ولم يخنع ولم يضعف فحالف الأسود (1) بن عبد يغوث الزهري (2) فتبناه ، وكتب إلي أبيه بذلك ، فقدم عليه مكة.

منذ ذلك اليوم صار إسمه المقداد بن الأسود ، نسبة لحليفة ، والكندي ، نسبةً لحلفاء أبيه.

وقد غلب عليه هذا الإسم ، واشتهر به ، حتي إذا نزلت الآية الكريمة : (أدعُوهُم لآبائِهم) قيل له : المقداد بن عمرو.

وكان يكني أبا الأسود ، وقيل : أبو عمرو ، وأبو سعيد (3) وأبو معبد.

ومن أهم ألقابه : « حارس رسول الله » (4).

1- الأسود بن عبد يغوث الزهري : كان من جبابرة قريش ، وأحد كبار المستهزئين برسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وكانوا خمسة ، وقد كفي الله نبيه إياهم ، فحين نزلت الآية « أنا كفيناك المستهزئين » أصيب الأسود هذا بالاستسقاء حتي هلك ، أما الأربعة الباقية ، فهم : الأسود بن المطلب ، أصيب بالعمي ، والوليد بن المغيرة كان قد جرح بأسفل قدمه جرحاً قديماً فانتقض عليه ومات. والعاص بن وائل ، اصيب بشوكة في رجله فقتلته والحارث بن طلالة امتخض رأسه قيحاً فقتله. راجع السيرة لإبن هشام 2 / 41.

2- المستدرك 3 / 348.

3- نفس المصدر.

4- نفس المصدر ، كما يستفاد ذلك من مطاوي الحديث.

صفاته وأخلاقه

كان فارع الطول ، أبيض اللون ، صبيح الوجه ، يصفّر لحيته ، كثير شعر الرأس ، أبطن ، ضخم الجثة ، واسع العينين ، مقرون الحاجبين ، أقني الأنف ، جميل الهيئة ، كما يستفاد ذلك من وصف إبنته له (1).

وكان فارساً شجاعاً « يقوم مقام ألف رجل » علي حد تعبير عمرو بن العاص (2) وكان من الرماة المذكورين من أصحاب رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (3) وهو أول فارس في الإسلام وكان من الفضلاء النجباء ، الكبار ، الخيار من أصحاب النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (4) سريع الإجابة إذا دعي إلي الجهاد حتي حينما تقدمت به سنه ، وكان يقول في ذلك : أبت علينا سورة البحوث (5) انفروا خفافاً وثقالاً.

وكان إلي جانب ذلك رفيع الخلق ، عالي الهمة ، طويل الأناة ، طيب

1- قالت ابنته كريمة : كان رجلاً طوالاً ، آدم (أبيض) أبطن ، كثير شعر الرأس يصفّر لحيته وهي حسنة ، ليست بالعظيمة ولا بالخفيفة ، أعين ، مقرون الحاجبين أقني ، المستدرك 3 / 348.

2- اليعقوبي 1 / 148.

3- الإستيعاب 3 / 473.

4- المستدرك 3 / 348.

5- هي سورة التوبة ، ولها عشر أسماء ، منها سورة البحوث ، سميت بذلك لأنها تتضمن ذكر المنافقين والبحث عن سرائرهم ، ومن اسمائها : الفاضحة ، الخ - راجع مجمع البيان 5 / 1.

القلب صبوراً علي الشدائد ، يحسن إلي ألدّ أعدائه طمعاً في استخلاصه نحو الخير ، صلب الإرادة ، ثابت اليقين ، لا يزعزعه شيء ، ويكفي في ذلك ما ورد في الأثر :

« ما بقي أحدٌ إلا وقد جال جولة إلا المقداد بن الأسود فإن قلبه كان مثل زبر الحديد » (1) وهو من الذين مضوا علي منهاج نبيهم ولم يغيروا ولم يبدلوا (2).

عظيم القدر ، شريف المنزلة ، هاجر الهجرتين ، وشهد بدراً وما بعدها من المشاهد ، تجمعت فيه 2 أنواع الفضائل ، وأخذ بمجامع المناقب من السبق ، والهجرة ، والعلم ، والنجدة ، والثبات ، والأستقامة ، والشرف والنجابة (3).

1- معجم رجال الحديث 18 / 360 و 363.

2- معجم رجال الحديث 18 / 360 و 363.

3- رجال بحر العلوم 3 / 345.

إسلامه

الذي يظهر من مجمل النصوص أن المقداد كان من المبادرين الأُول لاعتناق الإسلام ، فقد ورد فيه : أنه أسلم قديماً. (1) وذكر ابن مسعود أن أول من أظهر إسلامه سبعة ، وعدّ المقداد واحداً منهم.

إلا أنه كان يكتم إسلامه عن سيده الأسود بن عبد يغوث خوفاً منه علي دمه شأنه في ذلك شأن بقية المستضعفين من المسلمين الذين كانوا تحت قبضة قريش عامة ، وحلفائهم وساداتهم خاصة ، أمثال عمار وأبيه وبلالٍ وغيرهم ممن كانوا يتجرعون غصص المحنة ؛ فما الذي يمنع الأسود بن عبد يغوث من أن يُنزل أشد العقوبة بحليفه إن هو أحس منه أنه قد صبأ إلي دين محمد ؟؟ سيما وأن الأسود هذا كان أحد طواغيت قريش وجباريهم ، وأحد المعاندين لمحمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والمستهزئين به وبما جاء ، إنه – ولا شك – في هذا الحال لن يكون أقل عنفاً مع حليفه من مخزوم مع حلفائها.

لأجل هذا كان المقداد يتحين الفرص لإنفلاته من ربقة « الحلف » الذي أصبح فيما بعد ضرباً من العبودية المقيتة ، ولوناً من ألوان التسخير المطلق للمحالف يجرده عن كل قيمة ، ويُحرم معه من أبسط الحقوق.

وفي السنة الأولي للهجرة قُيّضت له الفرصة لأن يلتحق بركب النبي محمد(صلي الله عليه و آله) وأن يكون واحداً من كبار صحابته المخلصين.

1- الإصابة 3 / 454 وكذلك في أسد الغابة 3 / 410.

« فقد عقد رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لعمه حمزة لواءً أبيض في ثلاثين رجلاً من المهاجرين ليعرضوا عِير قريش ، وكان هو وصاحب له ، يقال له : عمرو بن غزوان لا ـ زالا في صفوف المشركين ، فخرجا معهم يتوصلان بذلك ، فلما لقيهم المسلمون إنحازا إليهم » (1) فكانت بداية الجهاد الطويل !.

1- الكامل 2 / 111 وقيل : التحقا بالمسلمين في شوال حين بعث النبي (صَلَّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سريةً بقيادة عبيدة بن الحارث. راجع نور اليقين / 108.

مع الرسول الأعظم في دار هجرته

اشارة

* عام الحزن

* اول هجرة للرسول

* خروجه إلي الطائف

* النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعرض نفسه علي القبائل

* دخول الإسلام يثرب

* الإعداد للهجرة

* مبيت علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في فراش النبي(صلي الله عليه و آله)

* الهجرة

* النبي الإعظم في المدينة

* بين الرسول الأعظم والمقداد

مع الرسول الأعظم في دار هجرته

عام الحزن

قال الشيخ الأبطح(1) لعائديه من قريش :

« لن تزالوا بخير ما سمعتم من محمدٍ واتبعتم أمره ، فأطيعوه تنالوا السعادة في دنياكم وآخرتكم » ..

كانت هذه الكلمات الرحيمة تتهدل بين شفتي أبي طالب – عمّ الرسول وكافله – وهو يُزمعُ الرحيل عن هذه الدنيا ، فقد إشتد به المرض بعد أن تخطّي الثمانين من عمره واثقلت الهموم كاهله ، وبينما كان النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) خارجاً لبعض حوائجه ، إذا بالناعي ينعي له عمه.

أقبل النبي(صلي الله عليه و آله) مسرعاً نحو البيت الذي فيه عمه أبو طالب حتي إذا وصل إليه مسح جبينه الأيمن ثم مسح الأيسر – كما كان هو يمسح جبين النبي – ثم رثاه بهذه الكلمات :

« رحمك الله يا عم ، ربيت صغيراً وكفلتَ يتيماً ، ونصرتَ كبيراً ، فجزاك الله عني وعن الإسلام خير جزاء العاملين المجاهدينَ في سبيله بأموالهم وأنفسهم ». ثم بكي(صلي الله عليه و آله) وأبكي من كان حول عمه أبي طالب.

1- لقب أبي طالب.

أبو طالب ، هذا الذي لم يترك النصح والنصـرة لابن أخيه حتي آخر لحظةٍ من لحظات حياته ، ترك غيابه فراغاً في حياة النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ترجمته لنا دموع النبي ، وأفصح عنه حزنه وأساه عليه.

ومـا مضت أيام علي موت أبي طالب ، حتي واجه النبي مصـيبةً أخري ليست بأقل من مصابه بعمه ، فها هي خديجـة أيضاً تحتظر ! خـديجة التي بـذلت مالها وحياتها في نصـرة محمـد(صـلي الله عليه و آله) وانجاح رسالته .. صاحبـة اليـد الكريمة التي كانت تمسح دموع محمد وآلامه وأحزانه .. هـذه اليـد بـدأت ترتعد من وطأة المرض أيضاً .. وماتت خديجة ! بذلك فقد محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عمه الذي رباه ونصـره وضـحي لأجله خلال أربعين عاماً أو تزيـد ، كما فقـد زوجته التي بـذلت له مالها وواسـته في جميع الخطوب ، والتي كانت تود أن تتحمل عن كل شيء ليسلم لرسالته.

هاتان الفاجعتان الأليمتان في أيام معـدودات ، كل واحـدة منهما علي انفرادها تكفي لأن تترك أقوي النفوس كليمة مضعضـعة ! فكيف وقد اجتمعتا علي محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في عام واحد ! لذلك ، فقد سمي هذا العام بعام « الحزن ».

ووجـدت قريش في موت أبي طالبٍ وخديجـة ثغرةً واسـعة يمكن معها النيل من محمـد ومضايقته ومطاردته ، فأبو طالب كان الدرع الواقي والحصن الحصـين للنبي ، وقريش مهما بلغ بها التعسف والحقـد فإنها لن تسـتطيع الوصول إلي محمدٍ وأبو طالب حيّ ، أما الآن فقد هوي ذلك الحصن ، بل بالأحري ذلك العملاق ، وبقي محمـدّ وحـده في الساحـة معه لفيف من الدهماء وبعض العبيد ، وقليل من بني هاشـم ليسوا بـذات أثر في نظر قريش ! لـذلك فقد جدت قريش في إيذائه والتنكيل بأصـحابه ، وكان من أيسـر أنواع الأذي الذي أنزلته به – بعد فقد عمه – أن مر عليه أحد سفهاء قريش ، فاغترف بكلتا يديه من التراب والأوساخ ، وألقاها علي

وجهه ورأسه.

فـدخل بيته وهو بهـذه الحالـة ، فقامت إليه ابنته فاطمـة وكانت أصـغر بناته – وهي حديثة عهد بفاجعة أمها خديجة – فجعلت تغسل رأسـه وتميط عنه التراب وتبكي ، فالتفت اليها(صـلي الله عليه و آله) ومسح رأسـها بكلتا يديه وقال لها : لا تبكي يا بنية فإن الله مانع آباك وناصـره علي أعداء دينه ورسالته.

لقـد كان هذا العام عام الحزن والأذي والأسـي ، إلا أنه كان إيذاناً بمرحلةٍ انتقالية جديدة في حياة الرسول والرسالة. تلك هي مرحلة الإنتقال من الدعوة إلي الدولة.

ص: 27

أول هجرةٍ للرسول (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)

جاء في شرح النهج :

أن أول هجرة له كانت إلي بني عامر بن صعصعة وإخوانهم من قيس عَيلان ، ولم يكن إلا عليٌّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وحده ، وذلك عقيب وفاة أبي طالب.

فقد أوحي إليه(صلي الله عليه و آله) : أُخرج منها ، فقد ماتَ ناصرُك ! فخرج إلي بني عامر بن صعصعة ، فعرض نفسه عليهم وسألهم النُصرة ، وتلا عليهم القرآن ، فلم يجيبوه ! فعادا 8 إلي مكة. وكانت مدّة غيبته في هذه الهجرة عشرة ايام ، وهي أول هجرةٍ هاجرها(صلي الله عليه و آله) بنفسه (1).

1- راجع شرح النهج 4 / 128.

خروجه إلي الطائف

وحين اشتد ايذاء قريش للنبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) خرج متخفياً في مكة ومعه ابن عمه علي بن أبي طالب وزيد بن حارثة ، وقصد الطائف ليعرض نفسه علي ساداتها من ثقيف ، وكانوا ثلاثة إخوة : عبد ياليل ، ومسعود بن عمرو ، واخوهما حبيب بن عمرو ، فدعاهم إلي نصرته والقيام معه علي من خالفه.

فقال أحدهم : ما رد يمرطُ ثيابَ الكعبةِ إن كان الله أرسلك !

وقال آخر : أما وجَدَ الله من يرسلُهُ غيرك ؟!

وقال الثالث : والله لا أكلّمُكَ كلمةً أبدا : لئن كنت نبياً كما تقول ، فأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام ؛ ولئن كنت كاذباً علي الله فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقد يئس منهم ، وقال لهم : إذا أبيتم فاكتموا علي ذلك ، وقد كره أن يبلغ قريشاً ذلك فيجرأون عليه.

وبقي(صلي الله عليه و آله) في الطائف عشرة أيام يدعو أهلها للإسلام فلم يسمعوا منهم ، وأغروا به سفهائهم وعبيدهم حتي اجتمع عليه الناس وقذفوه بالحجارة.

فالتجأ إلي حائط – بستان – لِعُتبةَ وشيبة إبنا ربيعة – وكانا فيه – والدماء تسيل من ساقيه ، فجلس في ظل شجرة وجعل يدعو بهذا الدعاء :

« اللهم إني أشكو إليكَ ضَعفي وقِلّةَ حيلتي وهواني علي الناس يا أرحم الراحمين أنت ربُّ المستضعَفِينَ وربيّ إلي من تكلني إلي بعيدٍ يتجهمني أم إلي عَدّوٍ ملّكته أمري ، إن لم يكن بك عليَّ غضبٌ فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تُنزلَّ فيَّ غضبَكَ أو يَحلّ عليّ سخطُك ، لك العُتبي حتي ترضي ، ولا حول ولا قوة إلا بك ».

جعل يدعو بهذا الدعاء وابنا ربيعة ينظران إليه ، فأشفقا عليه ، وتحركت له رحِمَهُما ، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً إسمه : عدّاس ، وقالا له : خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلي ذلك الرجل.

ففعل فلما وضعه بين يدي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وضع يده فيه وقال : بسم الله.

فقال عداس : والله أن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة !!

فقال له النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : من أي البلاد أنت ؟ وما دينك يا عداس ؟

قال : أنا نصراني من أهل نينوي !

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متّي ؟

فقال : وما يدريك ما يونس بن متّي !

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : ذاك أخي كان نبياً وأنا نبيٌّ !

فاكبَّ عداس علي يدي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ورجليه يقبلهما ، هذا وابنا ربيعة ينظران إليه ، ويقول أحدهما لصاحبه : أما غلامك فقد أفسده عليك.

ولما رجع إليهما عداس قالا له : ويحك يا عداس ، ما الذي أعجبك من هذا الرجل حتي قبّلت رأسه وقَدَميه ! إحذر أن يصرفك عن دينك.

فقال عداس : يا سيديَّ ، ما في الأرض خيرٌ من هذا الرجل ، لقد اخبرني بأمرٍ لا يعلمه إلا نبي.

وانصـرف رسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) راجعاً إلي مكـة بعد أن يئس من أهل الطائف وسادتهم ، لكن أنباء رحلته هذه كانت قد تناهت الي قريش ، فاسـتعدوا لآذاه ، لذلك فإنه صلوات الله عليه قبل أن يدخل مكة أرسل إلي بعض ساداتها يطلب منهم : أن يجيروه فامتنعوا عن إجارته إلا المُطعِمُ بن عـدي فإنه قبل إجارته ، وقال للرسول : نعم فلِيـدخل ! وأصـبح المطعم وقد لبس سـلاحه هو وبنوه وبنو أخيه ، فدخل المسجد ، فرآه ابو جهل وقال له : أمجيرٌ أنت ، أم متابع ؟

قال : بل مجير ! فقال أبو جهل : قد أجرنا من أجرت.

عند ذلك مضي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حتي دخل مكة ، وجعل يتابع تبليغ رسالته في جوار المعطم بن عدي.

النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعرض نفسه علي القبائل

وكان النبي(صلي الله عليه و آله) يعرض نفسه في المواسم علي قبائل العرب.

فأتي كندة في منازلهم وفيهم سيّدٌ لهم يقال له : مليح ، فدعاهم إلي الله وعرض نفسه عليهم ، فأبوا عليه !

ثم أتي قبيلة (كلب) إلي بطن منهم يقال لهم ، بنو عبدالله ، فدعاهم إلي الله وعرض نفسه عليهم ، فأبوا عليه ، ولم يقبلوا ما عرضه عليهم.

ثم أتي (بني عامر) فدعاهم إلي الله ، وعرض عليهم نفسه ! فقال له رجل منهم أرأيت إن نحن تابعناك فأظهرك الله علي من خالفك ؛ أيكون لنا الأمر علي من بعدك ؟!

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : الأمر إلي الله ، يضعه حيث يشاء !

قال له : أفنهدف نحورنا للعرب دونك ، فإذا ظهرت كان الأمر لغيرنا !؟ لا حاجة لنا بأمرك.

فلما صدر الناس عن الموسم ، رجع بنو عامر إلي شيخ لهم مسن كانوا يحدثونه بما يجري معهم في الموسم ، فسألهم عما جري لهم ، فقالوا : جاءنا رجل من قريش ، ثم أحد بني عبد المطلب يزعم أنه نبي ! يدعونا

إلي أن نمنعه ، ونقوم معه ، ونخرج به الي بلادنا !

حين سـمع الشـيخ ذلك ، وضع يديه علي رأسه ، ثم قال : يا بني عامر ؛ هل لها من تلافٍ ، هل لذناباها من مطّلِب ؟ والذي نفس فلانٍ بيده ما تقوّلها إسماعيلي قط ، وإنها لحق ! فأين كان رأيكم عنكم ؟

ثم أتي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بني حنيفـة وعرض عليهم نفسه ، فلم يكن أحـد من العرب أقبـح رداً عليه منهم. وفي هذه الفترة كان عمه أبو لهب يسير خلفه ويصد الناس عنه (1).

1- مقتضب من السيرة النبوية لإبن هشام 2 / 50 إلي 52.

دخول الإسلام يثرب

وكان أهل المدينـة يحجون إلي البيت كغيرهم من العرب ، فقـدم منهم جماعة إلي مكة والتقوا برسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فسألهم (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلي أي القبائل ينتمون ؟ فقالوا له من الخزرج. فقال لهم : أمن موالي يهود أنتم ؟ قالوا : نعم : فجلس إليهم(صلي الله عليه و آله) وعرض عليهم الإسـلام ودعاهم إلي الله عز وجل ، وتلا عليهم شيئاً من القرآن ، فقال بعضهم لبعض : إنه والله النبي الذي كان اليهود يتوعـدونكم به ، فلاـ يسـبقونكم إليه ، فأجابوه فيما دعاهم إليه ، وكان عـددهم سـتة ، (1) ثم أخبروه أن العـداء بين قومهم – الأـوس والخزرج – مستشرٍ ، والقتل بينهم مستمر ، وانهم سيقدمون عليهم ويدعونهم للإسلام عسي الله أن يجمعهم علي يده ويجيبون دعوته.

فانصـرفوا راجعين إلي بلاـدهم ، فلما قـدموا علي قومهم ذكروا لهم ما جري بينهم وبين النبي(صـلي الله عليه و آله) ودعوهم إلي الإسـلام حتي فشا بينهم ، ولم يبق دار من دور الأنصار إلا وفيه ذِكرٌ لرسول الله(صلي الله عليه و آله).

فلما كان العام الثاني ، وفـد من أهل يثرب إلي مكة إثنا عشـر رجلاً ، فإلتقوا بالنبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في مكان يقال له : العقبة ، فبايعوه علي بيعة

1- وهم : عبّادة بن الصامت ، وأسـعد بن زرارة ، وعوف ومعاذ ابنا الحارث بن رفاعـة ، ورافع بن مالك بن العجلان ، وذكوان بن عبد قيس. راجع السيرة 2 / 56.

النساء ، وكان من بينهم عبادة بن الصامت ، قال : بايعنا رسول الله علي أن لا نُشـركَ بالله شـيئاً ، ولا نَسرق ، ولا نزني. ولا نقتل أولادنا ، ولا نأتي ببُهتانٍ نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه بمعروف.

وبعث رسول الله معهم مصـعب بن عمير ، وأمره أن يُقرئهم القرآن ، ويعلِّمهم الإسـلام ، ويفقِّههم في الدين ، فأقبل معهم ونزل ضيفاً علي أسعد بن زرارة.

وقد أسلم بعد ذلك سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ، وأسلم معهما قومهما. في حديث يطول.

وفي السـنة التاليـة أقبل مصـعب بن عمير ومعه جماعة من المشـركين والمسـلمين من أهل المدينة قاصدين مكة لأداء المناسك والإجتماع برسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فالتقوا به سـراً ، وتواعـدوا أن يجتمعوا مه بالعقبـة ليلاً بعـد أن ينام الناس ليتذاكروا أمر الدعوة وليعرضوا إسلامهم عليه.

قال كعب بن مالك في حديث له : وجاءت الليلة التي واعدنا رسول الله فيها ومعنا عبدالله بن عمر بن حزام – وهو من ساداتنا – أخذناه معنا ونحن نتكتم عمن معنا من المشـركين فتكلمنا معه في الإسلام ، ودعوناه إليه ، وأخبرناه بإجتماعنا بالرسول ، فأسلم وحضر معنا بيعة العقبة ، ونمنا تلك الليلة حتي إذا مضـي من الليل الثلث ، خرجنا من رحالنا نتسـلل تسلل القطا حتي لا يحس بنا أحد ونحن ثلاثة وسبعون رجلاً ، ومعنا امرأتان لا غيرهما ، نسـيبة بنت كعب ، واسـماء بنت عمرو بن عدي ، فاجتمعنا في الشـعب ننتظر رسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، حتي جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب – وهو علي دين قريش – وقد أحب أن يري موقفنا من النبي ويتوثق منه ، فلما جلس النبي (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وجلسنا حوله كان العباس أول المتكلمين.

فقال : يا معشر الخزرج ؛ إن محمداً منا حيث قد علمتم ، وقد منعناه من

قومنا وانه أبي إلا الإنحياز إليكم ، واللحوق بكم ، فإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه ، ومانعوه ممن خالفه ، فأنتم وما تحملتم من ذلك ، وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به إليكم ، فمن الآن فدعوه ، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده.

ثم تكلم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فتلا شيئاً من القرآن ، ودعا إلي الله ، ورغب في الإسلام ثم قال : أبايعكم علي أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم.

فأخذ البراء بن معرور بيده ، ثم قال : والذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع أزرنا (1). فبايعنا يا رسول الله ، فنحن أبناء الحروب ، وأهل الحلقة ، ورثناها كابراً عن كابر.

وتكلم بعده أبو الهيثم بن التيهان فقال : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال حبالاً ، وانا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ، ثم أظهرك الله أن ترجع الي قومك وتدعنا. ؟

فتبسم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثم قال : بل الـدَمُ الـدم ، والهدمُ الهدم (2) أنـا منكم وأنتم مني ، أحارب من حاربتم ، وأسالم من سالمتم (3).

ثم أمرهم رسول الله أن يختاروا منهم أثني عشـر نقيباً ليكونوا علي قومهم يتحملون المسؤولية تجاه رسول الله فاخرجوا منهم اثني عشر نقيباً (4) تسعة من

1- الإزار : كناية عن المرأة ، وكناية عن النفس أيضاً.

2- قال ابن قتيبـة : كانت العرب تقول عنـد عقـد الحلف والجوار : دمي دمُك ، وهـدمي هـدمك ، أي ما هدمت من الدماء هدمته انا ، وما يجري عليك يجري علينا ؛ وقد يقصد بالهدم ، الجلاء والإرتحال.

3- راجع السيرة لإبن هشام 2 / 64 وما قبلها.

4- واسـماءهم كالتالي : سـعد بن زرارة ، وسـعد بن الربيع ، وعبد الله بن رواحة ، ورافع بن مالك ، والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حزام ، وعبادة بن الصامت ، وسـعد بن عبادة ، وكلهم من الخزرج. ومن الأوس : أسيد بن حضير وسعد بن خيثمة ، ورفاعة بن عبد المنذر. سيرة بن هشام / 65.

الخزرج ، وثلاثة من الأوس.

ولما اجتمعوا للبيعة – بعد اختيار النقباء – قال لهم العباس بن عبادة بن نضلة الأنصاري :

يـا معشـر الخزرج ، هـل تـدرون علي مَ تبايعون هـذا الرجل ؟ قالوا : نعم. قال : إنكم تبايعون علي حرب الأحمر والأسود من الناس ، فإن كنتم ترون أنكم إذا انهكت أموالكم مصـيبة ، وأشـرافكم قتلاً ، أسـلمتموه ، فمن الآن ، فهو والله إن فعلتم خزي الـدنيا والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه إليه علي نهكة الأموال (1) وقتل الأشراف ، فخذوه ، فهو والله خير الدنيا والآخرة.

قالوا : فإنا نأخذه علي مصيبة الأموال ، وقتل الأشراف ، فما لنا بذلك – يا رسول الله – إن نحن وفينا ؟ قال : الجنة.

قالوا : ابسط يدك ؛ فبسط يده ، فبايعوه علي ذلك.

وكان أول من ضرب يده علي يد رسول الله سعد بن زرارة ، وقيل : الهيثم بن التيهان ، وتتابع القوم يتسابقون علي بيعته.

وتطاير الخبر الي مشركي مكة بما جري للنبي مع الأوس والخزرج ،

1- نهكة الأموال : نقصها.

فاجتمع وجوه القرشيين ، واقبلوا إلي الأنصار حيث ينزلون ، فقالوا : يا معشر الخزرج ، لقد بلغنا أنكم جئتم الي صاحبنا محمد لتخرجوه من بين أظهرنا ، وتبايعوه علي حربنا ، وانه والله ما من حي من العرب أبغض إلينا أن تنشب الحرب بيننا وبينكم !

فاسـرع جماعـة من مشـركي الأـوس والخزرج ممن لم يكونوا قـد علموا بشـيء ممـا جري وحلفوا لهم بالله إنه لم يكن مما يقولون شـيء ، فصدقوا وانصرفوا.

ولما انتهي موسم الحج ، ورجع الأنصار ، ايقنت قريش بالأمر ، فخرج جماعة في طلبهم فادركوا سـعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو – وهما من النقباء الإثني عشـر – واستطاع المنذر أن يفلت من أيديهم ، وأمسكوا بسعد وربطوا يديه إلي عنقه وادخلوه مكة مكتوفاً وهم ينهالون عليه بالضرب ، ويقذعون له بالشتم حتي خلصه جبير بن مطعم ، والحارث بن حرب بن أمية.

الإعداد للهجرة

ولم تكن قريش تتوقع هـذا التطور المفاجئ في حركة محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقد كانت حركته بادئ الأمر منحصـرةً داخل مكة فكان هو وأصـحابه تحت قبضـة قريش وسـلطانها ! أما بعـد مبايعـة أهل يثرب له علي حرب الأحمر والأسود ، فإن هذا يعني فتح جبهةٍ عسـكرية واسـعة ضد قريش يمكن أن تلهب معها الحرب في أي لحظة ! كما يعني إنتشار الإسـلام في ارجاء الجزيرة ، وسـقوط هيبة قريشٍ من أعين العرب ! وعندها تخسر كل شيء.

لذلك ، بدأ القرشيون يفكرون في فرض مخطط جديد يحول دون ذلك ، ولكن بعد فوات الآوان.

أما رسول الله ، فهو بـدوره أيضاً فكر أن يهاجر ، ولكن ما كان ليقطع أمراً دون أمر الله ووحيه ، حتي إذا نزلت الآيات المباركات التي تأذن له بالقتال :

(أُذِنَ للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلِموا وأنَّ الله علي نصْرِهم لقَديرٌ * الذين أُخرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بَغير حقٍّ إلاّ أنْ يَقُولُوا رَبُّنَا الله ولولا دَفَعُ الله الناسَ بَعضَهُم بِبَعض لَهُدِّمَت صَوامِعُ وبيَعٌ وصَلَوَاتٌ ومَسَاجِدُ يُذكر فيها إسمُ الله كثيراً ولَيَنصُرَنَّ الله من يَنصُرُهُ إنّ الله لقويٌ عزيزُ * الذينَ إن مَكنَّاهُم في الأرض أقاموا الصلاةَ وآتَوُا الزَكَاةَ وأمرُوا بالمعْرُوفِ ونَهَوا عن المنكَرِ ولله عاقبةُ الأمور) (1)

1- الحج - آية 39 - 40 - 41.

عند ذلك أمر رسول الله أصحابه أن يلحقوا بالأنصار في يثرب علي أن يتركوا مكة متفرقين يتسللون ليلاً ونهارا حتي لا يثيروا قريشاً فتقف في طريقهم ، وهكـذا انطلقوا من مكـة يتسـللون في جوف الليـل – كمـا أمرهم الرسول – أفراداً وجماعات ، وأحست قريش بـذلك ، فردت من اسـتطاعت ارجـاعه ، وفرقت بين الزوج وزوجته وأخـذت تنكـل بكل من وقع تحت قبضـتها دون القتل لأن المهاجرين اكثرهم من القبائل المكية ، والقتل قد يثير حرباً اهلية تكون لصالح محمد في النهاية.

وأخـذ المسـلمون يتوافدون إلي المدينة أفواجاً في ظل ضـيافة الأنصار وترحابهم ، ولـم يبق في مكة إلا نفر يسـير من المستضـعفين ومعهم النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وعلي ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة.

عنـد ذلك أحست قريش بالخطر الداهم فكان عليها أن تتخذ قراراً حاسـماً في حق محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ). فاجتمعوا في دار الندوة ، وتشاوروا فيما بينهم في خطةٍ تقضي علي حياة محمد !

قال بعضهم قيدوه بالحديد ، وضعوه في بيت وأغلقوه حتي يأتيه الموت !

ورأي آخر أن يطرد من مكة ، وتنفض قريش يدها منه. فلم يتفق الحاضرون علي هذين الرأيين.

وارتأي أبو جهل بن هشام أن تختار كل قبيلـة فتيً من فتيانها الأشـداء ، ويأخـذ كل واحد سـيفاً قاطعاً ، ويعمدون إليه بأجمعهم ، فيضـربونه ضربةً واحدة ، فإذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل كلها فلا يستطيع بنو هاشم الطلب بدمه ، فيختارون ديته علي القتال.

فاسـتحسن الجميع هـذا الرأي ، واسـتعدوا لتنفيـذه ، فاختاروا الفتية ، وعينوا الليلة ، وإلي ذلك تشـير الآية الكريمة : (وإذ يمكرُ بكَ الذين كفروا ليُثبِتُوكَ أو يَقتُلوكَ أو يُخرِجُوكَ ، ويمكُرونَ ويمكرُ الله والله خَيرُ الماكِرين).

مبيت علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في فراش الرسول (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)

أعظم مفتـدٍ لأعظم مفتـديً ، لم يحـدثنا التاريـخ بأروع من قصـة الفداء هذه ، فالملأ من قريش مجمعون علي قتل محمد في فراشه ، وعلم محمـد (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بـذلك وأخـبر عليـاً ، فبكي خوفـاً علي الرسول ، لكن الرسول حين أمره أن يـبيت علي فراشه ، قـال له علي : اوتسـلم يا رسول إن فديتك بنفسـي ؟! فقال (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : نعم ، بذلك وعدني ربي. فاستبشر عليٌّ وانفرجت أسارير وجهه ابتهاجاً بسلامة النبي ، وتقدم إلي فراشه مطمئن النفس ثابت الجنان نام فيه متشحاً ببرده اليماني.

فلمـا كـان الثلث الأـخير من الليل خرج النبي من الـدار وهو يقرأ : .. (وجعلنا من بين أيـديهم سـداً ومن خلفهم سـداً فاغشـيناهم فهم لا يبصـرون ..) ومر علي الملأ من قريش وأخـذ حفنـة من التراب وجعل ينثرها علي رؤوسـهم وهم لا يشـعرون ، ولما حان الوقت المحـدد لهجومهم علي الدار إقتحموا ، ! ، فثار علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في وجوههم ، فانهزموا منه ، ثم سألوه عن النبي فقال : لا أدري أين ذهب (1).

1- وفي تاريخ اليعقوبي : أن الله تعالي أوحي في تلك الليلة الي ملكين من ملائكته المقربين - وهما جبريل وميكائيل - أني قضـيت علي أحـدكما بـالموت ؛ فايكما يفـدي صاحبه ؟ فاختار كل منهما الحياة. فاوحي إليهما : هلا كنتما كعلي بن أبي طالب ، لقـد آخيت بينه وبين محمـد ، وجعلت عمر أحـدهما أطول من الآـخر ، فاختار علي الموت وآثر محمـداً بالحياة ونام في مضـجعه ، إهبطا فاحفظاه من عـدوه ، فهبطا يحرسانه في تلك الليلـة وهو لا يعلم ، وجبريل يقول : بـخ لك يا بن أبي طالب من مثلك يباهي به الله ملائكـة سـبع سـموات. راجع سيرة المصطفي / 251 نقلاً عن اليعقوبي 2 / 29 واسد الغابة 4 / 25 والشـبلنجي في نور الابصار / 77 والمنـاوي في كنوز الحقائق / 31 والغزالي في احياء العلوم.

الهجرة

وأوصـي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علياً بحفظ ذمته وأداء أماناته ، وأمره أن يقيم منادياً بالأبطح غدوةً وعشـية ينادي : آلا من كانت له قِبـلَ محمـدٍ أمانـة فيأت لتؤدي إليه أمانته ، وأوصاه بالصبر ، وأن يقـدم عليه مع ابنته فاطمـة وغيرها من النسوة إذا فرغ من آداء المهمّات التي كلفه بها.

وأمر أبا بكر ، وهند بن أبي هالة(1) أن يقعدا له في مكان حدده لهما في طريقه إلي الغار ، فلما خرج (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في ظلمة الليل ، إنطلق جنوباً ميمماً غار ثور ، فوجدهما في الطريق ، ورجع هند متخفياً إلي مكة ، ودخل هو (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وابو بكر الغار ، فأرسل الله في تلك الساعة عنكبوتاً نسجت علي بابه ، وشاءت قدرته أن تلتجئ إلي باب الغار حمامتان بريتان.

ومضت قريش جـادة في طلبه ومعهـا أهـل الخبرة بالقيافـة وتتّبع الأثر ، إلي أن بلغوا الغار ، وانقطع الأثر عنهم ، فنظروا ، فرأوا العنكبوت قد غطت بابه بنسيجها ، واذا بالحمامتين علي جانب من جوانب بابه مما لا يترك أقل شك في

1- هنـد بن أبي هالة التميمي : ربيب النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، أمه خديجة زوج النبي ، وكان فصـيحاً بليغاً ، وصف النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأحسن واتقن. وقد استشهد مع علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في حرب الجمل - راجع الإصابة 3 / 611 - 612

انهما ليسا فيه ، فقال بعضهم لبعض : إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد ! (1).

وبقي الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وصاحبه في الغار ثلاثة أيام – علي رواية – ثم ارتحلا ومعهما غلام لأبي بكر يدعي عامر بن فهيرة ، أردفه ابو بكر خلفه ، وأخذ بهم الدليل علي طريق الساحل.

ولم تتواني قريش في طلب النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وجعلت لمن قتله أو أسره مائة ناقة.

ومروا في طريقهم علي خيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت تقري الضيف ، فسألوها تمراً أو لحماً يشترونه منها ، فلم يجدوا عندها شيئاً ، فقالت : والله لو كان عندنا شيء ما أعوزكم ، ! فنظر رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وسلم إلي شاة في جانب الخيمة وقال : ما هذه الشاة يا أم معبد ؟

قالت : هي شاة خلّفها الجَهدُ عن الغنم ! فقال لها النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : هل بها من لبن ؟

قالت : هي أجهد من ذلك ؟ فقال : أتأذنين لي أن أحلبها ؟ فقالت : نعم ، فداك أبي وأمي إن رأيت بها حلباً.

فدعا رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بالشاة ، فمسح ضرعها وذكر اسم الله ، ثم قال : بارك الله في شأنها. فدّرت من ساعتها ، فدعا بإناءٍ كبير فحلب فيه فسقاها وسقي أصحابه حتي رويت ورووا ، وشرب هو آخرهم ، ثم قال :

وساقي القوم آخرهم شرابا

ثم حلب في الإناء حتي إمتلاء وتركه لها وارتحل. وما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزاً حيّلاً عجافاً هُزلاً ، فلما رأي اللبن تعجب وقال : من أين لكم هذا والشاة عازبة ؟ ولا حلوبة في البيت ؟!

1- مقتضب من سيرة المصطفي 250 وما بعدها.

قالت : لا والله ، إلا أنه مرَّ بنا رجل مبارك ، وقصت عليه قصته.

فقال : والله أني لأظنه صاحب قريش الذي تطلب ؟ صفيه لي !

قالت : رأيت رجلاً ظاهر الوضاءة ، مُنبلـج الوجه ، حسن الخلق ، لم تُعيهِ ثَلجـة (1) ، ولم تُزرِ به صلعَة (2) ، وسيمٌ ، قسيمٌ (3) ، في عينيه دعج (4) ، وفي اشـفاره وَطَف (5) ، وفي صوته صَحَل (6) ، أحور ، أكحـل ، ازَج ، أقرن (7) ، شديـد سواد الشـعر ، في لحيته كثافة ، إذا صمت فعليه الوقار ، وإذا تكلم سـما ، وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، لا نزر ولا هذر ، ومضت تعدد صـفاته. فلما انتهت من وصفه قال لها أبو معبـد : والله هـذا صاحب قريش ، ولو وافقته – يا أم معبـد – لإلتمست ان أصـحبه ، ولأفعلن إذا وجـدت إلي ذلك سبيلا ، وأخيراً هاجر أبو معبد وزوجته إلي يثرب وأسلما.

وبينما النبي في طريقه إلي يثرب إذ عرض له سـراقة بن مالك بن خثعم – يريد به شراً – فدعا عليه رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فرسخت قوائم فرسه في الأـرض ! فقـال : يـا محمـد ، ادع الله ان يطلق فرسـي وأرجع عنك وأرد من ورائي ، فـدعا له النبي ، فانطلقت الفرس ، فرجع سراقة ووجد الناس يلتمسون رسول الله ، فقال لهم : إرجعوا ، فقد استبرأت لكم خبره فلم أجد له أثراً ، فرجعوا.

1- أي لم يكن شديد البياض.

2- كناية عن جمال شعر رأسه.

3- قسيم وسيم : أي جميل كله.

4- الدعج : سواد العين مع سعتها.

5- الوطف كثرة شعر الحاجبين والعينين.

6- الصحل : بحة في الصوت.

7- هـذه الصـفات الأـربع لجمـال العينين. فـالحور : هو اشـتداد بيـاض العين وسوادهـا واسـتدارة حـدقتها (كعيون الظـبي) وازج : رفيع الحاجبين.

وتابع ركب النبي (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) طريقهم يقطعون السهول والجبال والأودية ، ويتحملون حرّ الهاجرة وجهد السير سبعة أيام حتي أمنوامن طلب قريش.

وخرج ابو ذر في قبيلتي غفار وأسلم ، للقاء النبي (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فلما دنا منه الركب ، أسرع إلي ناقة النبي وأخذ بزمامها وهو يكاد يطير فرحاً بلقائه ، فأخبره أن غفاراً قد أسلم أكثرها ، واجتمع عليه بنو غفار فقالوا له : يا رسول الله ، إن أبا ذر قد علمنا ما علمته ، فأسلمنا وشهدنا أنك رسول الله.

واسرع المتخلفون منهم الي الإسلام ، وبايعوا النبي وأعلنوا إسلامهم.

ثم تقدمت أسلم ، فقالوا : إنا قد أسلمنا ودخلنا فيما دخل فيه إخواننا وحلفاؤنا ، فأشرق وجه النبي سروراً بنصر الله ، ثم قال : غفار ، غفر الله لها ، وأسلم سالمها الله.

وإستأنف طريقه ، فلما قارب المدينة قال : من يدلنا علي الطريق إلي بني عمرو بن عوف.

فمشي أمامه جماعة ، فلما بلغ منازلهم ، نزل فيهم بقبا(1) في ربيع الأول ، وأراد أبو بكر منه أن يدخل المدينة ، فقال (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : ما أنا بداخلها حتي يقدم ابن عمي وابنتي – يعني علياً وفاطمة –.

واستقبل رسول الله بالتكبير والتهليل ، وكان في استقباله من بني عوف نحو من خمسمائة.

ثم كتب رسول الله(صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من قبا إلي علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، فلما ورد كتابه الي علي ابتاع ركائب لمن معه من النسوة وتهيأ للخروج ، وأمر من كان قد بقي في مكة

1- قُبا : أصله اسم بئر ، عُرفت القرية باسمه ، وكانت مساكن بني عمرو بن عوف من الأنصار. فيها أيام الرسول (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ). وبني رسول الله مسجده المعروف هناك فسمي (قبا) وهو اليوم في أجمل منطقة من المدينة المنورة علي ساكنها الصلاة والسلام ، وفي أجمل موقع.

من ضعفاء المؤمنين أن يتسللوا ليلاً الي ذي طوي ، وخرج(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) بالفواطم (1) وتبعتهم أم أيمن مولاة رسول الله ، وأبو واقد الليثي ، فجعل ابو واقد يسوق الرواحل سوقا حثيثاً ، فقال له علي : ارفق بالنسوة يا أبا واقد ، ثم جعل علي يسوق بهن ويقول :

ليس إلا الله فارفع ظنكا* يكفيك رب الناس ما أهمكا

فلما قارب ضجنان (2) أدركه الطلب ، وكانوا ثمانية فرسان ملثمين معهم مولىً لحرب بن أمية ، إسمه : جناح ، فقال علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لأيمن وابي واقد : انتحيا الإبل واعقلاها ، وتقدم وأنزل النسوة ، واستقبل القوم بسيفه ، فقالوا : أظننت يا غدار إنك ناج بالنسوة ؟ إرجع ، لا أبا لك.

فقال(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : فإن لم أفعل ؟! قالوا : لترجعن راغماً ! ودنوا من المطايا ليثورها ، فحال علي بينهم وبينها ، فأهوي له جناح ، فراغ عليٌّ عن ضربته وضرب جناحاً علي عاتقه فقدَّه نصفين حتي دخل السيف إلي كتف فرسه. وشد علي أصحابه ، فتفرق القوم عنه وقالوا : إحبس نفسك عنّا يا بن أبي طالب !

فقال لهم : إني منطلق إلي أخي وابن عمي رسول الله ، فمن سرّهُ أن أفري لحمه ، واريق دمه ، فليدن مني !!

ثم أقبل(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) علي أيمن وأبي واقد ، وقال لهما : أطلقا مطاياكما.

وسار بها ظافراً قاهراً حتي نزل ضجنان ، فلبث بها يومه وليلته تلك هو والفواطم يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم ، حتي طلع الفجر ، فلما

1- الفواطم : هن فاطمة بنت رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وفاطمة بنت أسد ام الإمام علي ، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وفاطمة بنت حمزة راجع سيرة المصطفي / 259.
2- ضجنان : إسم جبل علي اربعة فراسخ من مكة.

صلوا صلاة الفجر سار بهم حتي قدموا المدينة ، وكان قد تفطرت قدماه ، فلما رآه النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) اعتنقه وبكي رحمةً لما به ، ثم تفل في يديه وأمرهَّما علي قدمي علي ودعا له بالعافية ، فلم يعد يشتكي منهما (1).

ص: 47

1- راجع سيرة المصطفي 258 وما بعدها

النبي الأعظم في المدينة

وخرج(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من قبا يوم الجمعة ، فادركته الصلاة في بني سالم بن عوف ، فصلاها عندهم ومعه مائة من المسلمين ، وبعد الصلاة دعا براحلته فركبها ، والتف حوله المسلمون وهم مدججون بالسلاح ، وكان لا يمر بحي من أحياء الانصار إلا تعلقوا به ، يقولون له : انزل علي الرحب والسعة يا نبي الله ، إلي القوة والمنعة والثروة ، فيدعو لهم بالخير ويقول : دعوا الراحلة فإنها مأمورة ، وما زالت تسير به ، وكلما مرَّ بحيٍّ أخذوا بزمامها وألحوا علي النزول بينهم وهو يرفض ذلك إلي أن انتهت إلي حيث مسجده الآن فبركت عنده.

فجاء أبو أيوب الأنصاري ، فحط رحله وأدخله منزله ، فقال رسول الله المرء مع رحله ، وجاء أسعد بن زرارة فأخذ بزمام ناقة رسول الله وأدخلها داره.

قال زيد بن ثابت : وأول هديةٍ دخلت رسول الله في منزل ابي أيوب ، قصعة مثرودة فيها خبز وسمن ولبن ، فقلت : أرسلت بهذه القصعة أمي ، يا رسول الله ، فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : بارك الله فيك وفي أمك ، ودعا أصحابه فأكلوا.

ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة. وما كان من ليلةٍ من الليالي إلا وعلي باب رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الثلاثة والأربعة يحملون الطعام ، يتناوبون ذلك ، حتي فرغ رسول الله من بناء مسجده ومنازله ، وتحول عن منزل أبي أيوب ، وكان

مقامه فيه سبعة أشهر.

واهتم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بتوكيد الروابط بين المهاجرين والانصار ، وتأصيلها في نفوسهم علي أساس التقوي والإيمان ، فآخي بين المهاجرين والأنصار ، وأطفأ بهديه وبراعته نار الحقد بين الأوس والخزرج ، ولم يكتف (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بذلك ، بل حاول جاهداً تحقيق الوحدة بين جميع سكان يثرب من المسلمين والمشركين وأهل الكتاب من اليهود ، مخافة أن تثور بهم البغضاء والعصبيات وتعصف بهم الأحقاد فيصبح حينئذٍ بين خطرين ، خطر من داخل المدينة ، وخطر قريش ، وعندها يصاب هذا الدين الجديد بالنكسة ، لذلك كان(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قد أحكم الأمر فعقد معاهدةً بين المسلمين والفئات الأخري من أهل المدينة ليحفظ وحدتها ويصون اهلها ويغلق الباب علي المفسدين ، ولولا هذا التدبير الرائع ، لواجه صلوات الله عليه صعوبات ومشاق لا تقل في حجمها عن تلك التي واجهها من قريش في مكة.

والكلمة الأخيرة : فإن موقف الأنصار من الرسول والمهاجرين معه كان أشرف موقف يسجله تأريخ أمة ، نصروهم بعد أن خذلهم قومهم ، وقاسموهم آموالهم ، وآثروهم علي انفسهم ووفروا لهم وسائل العمل حتي أصبح الكثير منهم في مصاف الأثرياء من أهل المدينة ، وقد أجمل الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) موقف الأنصار من المهاجرين بقوله مخاطباً مسلمي قريش :

« إن حب الأنصار إيمان ، وبغضهم نفاق ، وقد قضوا ما عليهم ، وبقي ما عليكم ، واذكروا أن الله رغب لنبيكم عن مكة فنقله الي المدينة ، وكره له قريشاً فنقله إلي الأنصار ، ثم قدمنا عليهم دارهم ، فقاسمونا الأموال ، وكفونا العمل ، فصرنا منهم بين بذل الغني وايثار الفقير ، ثم حاربنا الناس فوقوْنا بأنفسهم ، وقد أنزل الله تعالي فيهم آيةً من القرآن جمع لهم فيها بين خمس نِعَم فقال : (والذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم يُحبّون من هاجر

إليهم ولا يجـدون في صـدورهم حاجـةً مَّما أوتوا ويؤثرون علي أنفُسِـهمَ ولو كان بهم خَصَاصَة ومن يُوقَ شحّ نفسه فأولئك هم المفلحون) (1).

ص: 50

1- شرح النهج 6 / 33 - 34.

بين الرسول الأعظم والمقداد

في خلال السنة الأولي للهجرة كان المقداد لا يزال – هو وبعض المستضعفين – في مكة ، وليس من السهل أن يغادرها إلي المدينة سيما وانه حليف للأسود بن عبد يغوث – كما قدمنا – فإنه لو فعل لكان مصيره إلي القتل بلا أدني شك ، لذلك كان يترقب فرصةً سانحةً يمكنه معها الفرار إلي يثرب واللقاء بالرسول والإلتحاق بركبه ، حتي كانت سرية حمزة بن عبد المطلب وكان معها الخلاص ، فقد خرج مع المشركين يوهمهم أنه يريد القتال معهم ، وهكذا إنحاز إلي سرية حمزة ورجع معه الي المدينة.

وكان نزوله في المدينة علي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في ضيافته ، ولم يكن وحده بل كانوا جماعة ، ومن الواضح أن وضع المسلمين الإقتصادي – في تلك الفترة – كان متردّياً إلي درجةٍ بعيدة ، بل يظهر أنهم كانوا يعانون الفقر المدقع – لولا مساعدة الأنصار لهم – فقد تركوا كل ما لديهم من مال في مكة وخرجوا منها صفر اليدين ، لا يملكون إلا أبدانهم وثيابهم ، ورواحلهم ، وليس من الوارد أن يكونوا في خلال ستة أشهر ، أو تسعة ، في وضع إقتصادي مريح علي الأقل ، سيما وأن النفقة – الصادر – اكثر من الوارد ، فبناء المسجد ، وبناء الدور – وان كانت من جريد النخل مغروساً بالطين – تتطلب بذل مالٍ كثير نسبةً لذلك الوقت وتلك الظروف.

وقوافل المسلمين الجدد الذين كانوا يأتون المدينة لم تقف عند حد الهجرة ، هجرة النبي ، بل توالت ، فكان علي الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والمسلمين أن يستقبلوا

ضيوفهم ، وأن يهيئوا لهم ما يحتاجون من متطلبات الحياة الضرورية علي الأقل.

فكـان إذا هـاجر بعض المسـلمين ، وزّعهم رسول الله ، اثنان اثنان ، أو ثلاثـة ثلاثـة .. أو .. حسب العـدد علي إخوانهم المهاجرين الـذين استقرت بهم الدار في المدينة وأصبحوا قادرين علي النهوض بأنفسهم وعوائلهم.

والذي يظهر ، أن المقداد كان من جملة أولئك الوافدين المهاجرين الجدد ، وكان في عدد لا يستهان به ، كما يلحظ ذلك في مطاوي كلامه ، فقد ذكر أحمد بن حنبل بسنده عن المقداد ، قال :

لما نزلنا المدينة ، عشـرنا رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عشرةً عشرةً في كل بيت ! قال : فكنت في العشرة الذين كانوا مع رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) (1).

إلا أن هـذه الإقامة في بيت الرسول لا تكون طويلةً بحسب العادة ، إذ يتخللها بعوثٌ وسـرايا وغزوات ، قد يطول أمدها ، وعند العودة يتبدّل المكان ، سـيّما إذا اخذنا بعين الإعتبار ما لرسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من هيبةٍ في نفوس المسـلمين تزرع في نفوسهم الخجل من أن يكلموه في النزول عليه وفي ضيافته.

يسـتفاد ذلك من حـديث آخر مروي عن المقداد ، حيث قال : أقبلتُ أنا وصاحبان لي وقد ذهبت أسـماعُنا وأبصارُنا من الجهد (2) فجعلنا نعرض أنفسـنا علي أصـحاب رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فليس أحد منهم يقبلنا. » لا لبخل فيهم ، بل لأنهم كانوا مقلّين ليس عندهم شيء ! « فأتينا النبي(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فانطلق بنا إلي أهله فإذا ثلاثة أعنز ! ».

فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إحتلبوا هذا اللبن بيننا.

1- الإستيعاب (علي هامش الإصابة) 3 / 476.

2- الجهد : الجوع والتعب والمشقة.

قـال: فكنا نحتلب ، فيشـرب كل انسان منا نصـيبه ، ونرفع للنبي (صَـلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نصـيبه. فيجيء (صَـلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ليلاً فيسـلم تسليماً لا يوقظ نائماً ، ويسمع اليقظان ، ثم يأتي المسجد فيصلي ، ثم يأتي شرابه فيشرب (1).

وفي هذه الأثناء تحصل مواقف نادرة بينه (صَـلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من جهة وبين اصـحابه من جهةٍ أخري ، وهي بالإضافة إلي ما تنطوي عليه من اقتباس الحكمة منه صلوات الله عليه والتوجيه الرفيع ، فإنها لا تخلو من ظرف وخفة روح من جانب بعض أصحابه أحياناً ونجده في هذه الحالات يعاملهم معاملة الأب لأبنائه دون قسوةٍ أاو غلظة وربما أنبههم إلي الخطأ أو الغلط بأسـلوب هادئ مقنع لا يملك معه مستمعوه إلا الإذعان والإنقياد ولوم النفس علي التفريط إن كان هناك تفريط أو تسامـح ، كما حصل للمقداد حين كان في ضـيافته(صَـلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علي ما جاء في تتمة الرواية.

قال : فأتاني الشـيطان ذات ليلةٍ ، وقد شـربتُ نصـيبي – من اللبن – فقال : محمدٌ يأتي الأنصار فيتحفونه ، ويصيب عندهم ، ما به حاجة إلي هذه الجرعة.

فأتيتها فشربتها ، فلما أن وغلت (2) في بطني ، وعلمتُ أنه ليس إليها سبيل ، ندَّمني الشـيطان ، فقال : ويحك ؟ ما صنعتَ ؟ أشربتَ شرابَ محمد فيجيء فلا يجده ، فيدعو عليك فتهلك ، فتذهب دنياك وآخرتك. !

وعليّ شـملة ، إذا وضـعتها علي قدمي خرج رأسي ، وأذا وضعتها علي رأسي خرج قدماي. وجعل لا يجيئني النوم ، وأما صاحباي فناما ولم يصنعا ما صنعت.

قال : فجاء النبي (صَلَّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فسلّم كما كان يُسلّم ، ثم أتي المسجد ، فصلي

1- للرواية تتمة تأتي.

2- وغلت : أي استقرت وتمكنت في بطنه.

ثم أتي شرابه فكشف عنه فلم يجد فيه شيءً ، فرفع رأسه الي السماء.

فقلت : الآن يدعو عليّ فأهلك ، فقال : « اللهم أطعم من أطعمني ، واسقِ من سـقاني. » قال : فعمدت الي الشملة فشددتها عليّ ، وأخذت الشـفرة ، فانطلقت الي الأعنز أيها أسمن فأذبحها لرسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فإذا هي حافلة (1) واذا هن حفل كلهن ، فعمدت الي إناءٍ لآل محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ما كانوا يطمعون أن يحتلبوا فيه. قال : فحلبت فيه حتي علته رغوة ، فجئت إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال :

أشربتم شرابكم الليلة ؟

قال : قلت : يا رسول الله ؟ اشرب.

فشرب ، ثم ناولني ، فقلت : يا رسول الله ، إشرب. فشرب ، ثم ناولني.

فلما عرفت أن النبي قد روي ، وأصبتُ دعوته ، ضحكتُ حتي القيت إلي الأرض.

قال : فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إحد سوآتك (2) يا مقداد.

فقلت : يا رسول الله ، كان من أمري كذا وكذا ، وفعلت كذا.

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : ما هذه إلا رحمةٌ من الله (3) آفلا كنت آذنتني فنوقظ صاحبينا فيصيبان منها.

قال : فقلت : والذي بعثك بالحق ؛ ما أبالي إذا أصبتَها وأصبتُها معك

1- حافلة : أي أن ضرعها ملآن باللبن.

2- احدي سوآتك : أي انك فعلت سوآة من الفعلات ، فما هي ؟

3- اي أن أحداث هذا اللبن في غير وقته وخلاف عادته ، رحمة من الله.

من أصابها من الناس (1).

هذا موقف لأبي معبد ينطوي علي شيء من الظرف وخفة الروح ، بالإضافة إلي إستشعاره الخطيئة حين عمد إلي شراب محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فشربه ، ولاحظنا أن موقف النبي منه كان موقف الشفيق العطوف الرحيم الذي ينظر إلي أصحابه بميزان خاص يتلائم مع عقولهم ونفوسهم ، وربما تلاحظ معي أن الرسول الكريم - كما يظهر من الحديث - تمني لو أن المقداد أيقض صاحبيه ليصيبا معهما الشراب ، شراب ذلك اللبن المبارك.

وموقف آخر لأبي معبد مع الرسول ، تتجلي فيه عظمة الإسلام ، ونبي الإسلام ، كان من جملة المواقف التي خلدت علي الزمان بما تحمل من نبل كلمة وسمو خلق ، ورفيع مستوي في التوجيه والتهذيب ، بل وغرس الروح الإنضباطية لدي المسلم.

فقد سأله ذات مرة : يا رسول الله ، أرأيتَ إن لقيتُ رجلاً من الكفار ، فقاتلني فضرب إحدي يدي بالسيف ، فقطعها ثم لاذ مني بشجرة ، فقال : أسلمت لله ؛ أفأقتله - يا رسول الله - بعد أن قالها ؟!

قال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لا تقتله.

قال : فقلت : يا رسول الله ، انه قطع يدي ! ثم قال ذلك بعد أن قطعها ، أفأقتله ؟

قال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لا تقتله. فإن قتلته فإنه بمنزلتك قبل أن تقتله ! وانك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال. ! (2)

ويلاحظ هنا مدي ارتقاء الإسلام بالنفس البشرية إلي آعالي قمم الكرامة

1- صحيح مسلم ج 3 ك 36 ص 1625 - 1626 ح 174.

2- صحيح مسلم ج 1 ك 1 ص 96 ح 155 - 156 - 157.

والإنسانية ، كلمة واحدة فقط من لسانٍ صادق كفيلة بإنقاذ حياة صاحبها من موتٍ محتم.

أي عمق هـذا في تعزيز الروح الإنسانية ، وأي صـيانةٍ لها ؟؟ هكذا الإسـلام دائماً يهتم بصـيانة النوع وحمايته ، فكلمة صادقة ، كفيلة في أن تقلب الموازين وكلمة صادقة ، هي مرآة للنفس تعكس آلامها وآمالها ، وليس للحقد في دنيا الإسلام مكان.

انه موقفٌ شواهد الحكمة فيه ، ومعه.

ص: 56

من مواقفه البطولية

اشارة

* في سرية « نخلة ». ينقذ أسيراً فيسلم.

* في غزوة بدر الكبري

* غزوة احد

* غزوة الغابة

* عزوة خيبر

ص: 57

في سرية « نخلة »

في سرية « نخلة »(1)

ينقذ أسيراً ، فيسلم !

بعد سبعة عشر شهراً من الهجرة ، أراد النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن يتتبع أخبار قريش ، ويتحسس تنقلاتها ، ويرصد تحركاتها في المنطقة ، فدعا عبدالله بن جحش ، وأمره أن يوافيه مع الصباح بكامل سلاحه.

قال : فوافيت الصبح وعلي سيفي ، وقوسي ، وجعبتي ، ومعي درقتي ، فصلي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) الصبح بالناس ، ثم انصرف فوجدني قد سبقته واقفاً عند باب داره ومعي نفر من قريش.

فدعا رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أبي بن كعب ، فدخل عليه ، فأمره أن يكتب كتاباً.

ثم دعاني (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأعطاني صحيفةً من أديم خولاني فقال : قد استعملتك علي هؤلاء النفر ، فامضي حتي إذا سرت ليلتين ، فانشر كتابي ، ثم امضي لما فيه.

قلت : يا رسول الله ، أي ناحية أسير ؟ فقال : اسلك النجدّية ، تؤم رُكيّة (بئر).

فانطلق عبدالله ، حتي إذا صار ببئر ضمرة نشر الكتاب فإذا فيه : « سر حتي تأتي بطن نخلة علي إسم الله وبركاته ، ولا تكرهنَّ أحداً من

1- : سميت باسم المكان ، وهو بطن نخلة : « قرية قريبة من المدينة ». هكذا قال ياقوت.

أصحابك علي المسير معك ، وامضِ لأمري فيمن تبعك حتي تأتي « بطن نخلة » فترصَّد بها عِيرَ قريش ».

فقرأ عبدالله الكتاب علي أصحابه ، ثم قال : لست مستكرهاً منكم أحداً ، فمن كان يريد الشهادة ، فليمضِ لأمر رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ومن أراد الرجعة ، فمن الآن. !

فقالوا جميعاً : نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك ، فسر علي بركة الله حيث شئت.

فسار حتي جاء نخلة ، فوجد عيراً لقريش فيها عمرو بن الحضرمي والحكم بن كيسان ، وعثمان بن عبدالله بن المغيرة ، ونوفل بن عبدالله وهم من بني مخزوم.

وكان ذلك اليوم مشتبها في أنه آخر يوم من رجب ، أو اول يوم من شعبان. ورجب من الأشهر الحرم ، فقال قائل : لا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم ، أم لا ؟

وقائل يقول : إن اخرتم عنهم هذا اليوم ، دخلو في الحرم – حرم مكة – وإن أصبتموهم ، ففي الشهر الحرام.

هذا ، مع أن النبي صلوات الله عليه لم يأمرهم بالقتال ، وانما أمرهم بمراقبة تحركاتهم.

وكان رأي واقد بن عبدالله ، وعكاشة بن محصن مقاتلتهم ، وأخيراً غلب رأيهم علي رأي من سواهم ، فشجُعَ القوم ، فقاتلوهم.

فخرج واقد بن عبدالله يقدم القوم ، قد أنبض قوسه وفوّق بسهمه – وكان لا يخطئ رميته – فرمي عمرو بن الحضرمي بسهم ، فقتله.

وأسِرَ عثمان بن عبدالله ، وحكم بن كيسان ، وأفلت نوفل بن عبد الله.

واستاق المسلمون العِير – وكانت تحمل خمراً وزبيباً وجلوداً – إلي رسول الله فوقّفها ولم يأخذ منها شيئاً. وقال لهم : ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام.

أما الأسيران ، فحبسهما عنده ، لأن اثنين من المسلمين كانا قد ضلا وتأخرا عن أصحابهم ، فظن الناس أن قريشاً قد حبستهما أو قتلتهما.

وأرسلت قريش إلي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في فداء أصحابهم ، فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لن نفديهما حتي يقدما صاحبانا.

وكان المقداد رضي الله عنه هو الذي قد أسر الحكم بن كيسان ، وأنقذه من القتل ، وذلك كما يحدثنا هو فيقول :

أراد أمير الجيش أن يضرب عنقه ، فقلت : دعه نقدم به علي رسول الله.

فقدمنا به علي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فجعل رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يدعوه إلي الإسلام ، فأطال رسول الله كلامه.

فقال عمر بن الخطاب : تكلم هـذا يا رسول الله ؟ والله لا يسـلم هذا آخر الأبد ! دعني اضـرب عنقه ، ويقدم الي أمه الهاوية. ! فجعل النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لا يقبل علي عمر.

قال الحكم : وما الإسلام ؟

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : تعبد الله وحده لا شريك له ، وتشهد أن محمداً عبد ورسوله.

قال : قد أسلمت.

فالتفت النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلي أصحابه ، فقال : لو أطعتكم فيه آنفاً فقتلته. دخل النار.

قال عمر : فما هو إلا أن رأيته قد أسلم ، وأخذني ما تقدم وتأخر وقلت :

كيف أرد علي النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أمراً هو أعلم به مني ، ثم أقول : إنما أردت بذلك النصيحة لله ولرسوله.

قال عمر : فأسلم والله ، فحُسن إسلامه ، وجاهد في الله حتي قتل شهيداً يوم بئر معونة ، ورسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) راضٍ عنه. (1)

1- المغازي : 15.

في غزوة بدر الكبري

في غزوة بدر الكبري(1)

لم ينس المسلمون المواقف الآثمة التي وقفتها منهم قريش وباقي المشركين في « البلد الامين » مكة. حيث عذبت قسماً منهم أشد التعذيب ، وحاصرت محمداً ومن معه في « الشعب » قرابة ثلاث سنين ، بالإضافة الي مصادرة أموالهم ، مما ترك أسوأ الأثر في نفوسهم ، وجعلهم يتحينون الفرصة للثأر من جلاديهم.

وفي السنة الثانية للهجرة ، خرج أبو سفيان بن حرب بقافلة عظيمة للإتجار بها في بلاد الشام ، كانت قد إحتوت علي ألف بعير ، وسبعة آلاف مثقال من الذهب حيث لم يبق قرشي ولا قرشية في مكة ممن يمتلك مالاً إلا وبعث به في تلك القافلة.

حين علم النبي(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بذلك ، ندب أصحابه لإعتراضها موقظاً في أعينهم الثأر الذي نام طويلاً لكنه لم يعزم علي أحد منهم بالخروج ، بل ترك لهم الخيار في ذلك ، فقال لهم :

« هذه عِيرُ قريش فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعلَّ الله أن ينفِّلكموها .. »

1- وهي أول حرب خاضها المسلمون ضد عدوهم ، وكانت في 17 أو 19 رمضان من السنة الثانية للهجرة ، وبها تمهدت قواعد الدين ، وأعز الله الإسلام ، وأذل جبابرة قريش بقتل زعمائهم. وبدر : اسم لبئر كانت لرجل اسمه بدر.

وكان المسلمون قلّةً ضئيلة في قبال خصمهم ، ولم يكونوا ليخوضوا تجربة الحرب بعد ، ومع ذلك فقد خفَّ البعض منهم سِراعاً ، بينما تثاقل البعض الآخر ظناً منهم بأن النبي لا يلقي حرباً. فكان عدد المقاتلين من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة ، أو يزيدون قليلاً.

أما أبو سفيان ، فحين بلغه تأهب المسلمين للقائه دبَّ الذعر في قلبه ، وساوره قلق شديد علي مصير القافلة ، حتي إذا وصل إلي مكان يقال له : « الروحاء » وجد فيه رجلاً إسمه : مجدي بن عمر ، فسأله عن أخبار محمد ؟ فقال : « ما رأيتُ أحداً انكره ، غير اني رأيت راكبين أناخا في هذا التل ، ثم استقيا في شنٍ (1) لهما وانطلقا .. ».

أقبل أبو سفيان نحو التل وتناول بعراتٍ من فضلات الراحلتين ففتَّهما ، فإذا فيها النوي ، فقال : « هذه والله علائف يثرب ! وأدرك أن الرجلين من اصحاب محمد وانه قريب من الماء. ».

فرجع بالعير يضرب وجهها عن الطريق متجهاً بها نحو الساحل ، تاركاً بدراً الي يساره إلي أن نجا بالقافلة بعد أن كاد أن يسقط في أيدي المسلمين.

ضمضم يدخل مكة مستصرخاً

وكان أبو سفيان قد انفذ ضمضم بن عمرو الغفاري الي مكة ، يستصرخ قريشاً كي يهبُّوا لنجدة القافلة من مصير محتم ، فدخل مكة وقد جدع أنف بعيره ، وأدار رحله وشق قميصه وصاح بأعلي صوته :

« يا معشر قريش ، اللطيمة .. اللطيمة .. (2) أموالكم مع أبي سفيان ، قد تعرَّض لها محمدٌ وأصحابه ، ولا أري أن تدركوها ».

1- الشن : القربة الصغيرة.

2- اللطيمة : التجارة. وقيل : العطر خاصة.

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قد رأت – قبل قدوم ضمضم بثلاث ليال – رؤياً أفزعتها فقصتها علي أخيها العباس واستكتمه خبرها.

قالت : رأيت راكباً علي بعير له وقف بالأبطح(1) ثم صرخ بأعلي صوته : أن أنفروا يا آل غُدر إلي مصارعكم في ثلاث ، قالت : فأري الناس قد اجتمعوا إليه ثم دخل المسجد فمَثُلَ بعيره علي الكعبة ، ثم صرخ مثلها ، ثم مثل بعيره علي رأس أبي قبيس ، فصرخ مثلها ، ثم أخذ صخرة عظيمة وأرسلها ، فلما كانت بأسفل الوادي إرفَضّت فما بقي بيت من مكة إلا دخله فِلقةٌ منها !

لكن العباس قصّ هذه الرؤيا علي صديقه الوليد بن عتبة ، وقصها الوليد علي أبيه عتبة ، فشاعت في أحياء قريش.

وبينما العباس يطوف إذ لقيه أبو جهل ، فقال له : يا ابا الفضل أقبل إلينا.

قال : فلما فرغت من طوافي أقبلت إليه ، فقال لي : متي حدثت فيكم هذه النبيّةُ ؟ ! وذكر رؤيا عاتكة. ثم قال : أما رضيتم أن تتنبأ رجالكم ، حتي تتنبأ نساؤكم ؟! فستتربص بكم هذه الثلاث ، فإن يكن حقاً ؛ وإلا كتبنا عليكم أنكم أكذب أهل بيت في العرب .. ».

قال العباس : فغدوت في اليوم الثالث من رؤيا عاتكة وأنا مغضب أحب أن أدركَهُ فرأيته في المسجد فمشيت نحوه أتعرض له ليعود فأوقع به ، فخرج نحو باب المسجد يشتد. فقلت : ما باله ، قاتله الله ، أكلُّ هذا فرقاً من أن اشتمه ؟!

وإذا هو قد سمع مالم أسمع ، صوت ضمضم بن عمرو وهو يصرخ ببطن

1- كل مسيل فيه دقاق الحصي والمراد به هنا : المحصب وهو مكان قريب من مني تارةً يضاف إلي مكة واخري إلي مني لقربه منهما.

الوادي ..

قال فشغلني عنه ، وشغله عني (1).

قريش تتجهز للخروج

ألهب ضمضم مشاعر القرشيين بندائه ، فتجهز الناس سراعاً ، وأقامت قريش ثلاثاً تتجهز ، وأخرجت اسلحتها ، وأعان قويُّهم ضعيفهم « ولم يتخلف عن الخروج من أشرافهم أحد إلا أبا لهب ، وبعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة ».

وعزم أمية بن خلف الجمحي علي القعود – لأنه كان شيخاً ثقيلاً ، فأتاه عقبة بن أبي معيط بمجمرةٍ فيها نارٌ وبخور وقال : يا ابا علي ، استجمر ، فإنما أنت من النساء !

فقال : قبحك الله وقبح ما جئت به ، وتجهز وخرج معهم (2).

ولما أتمت قريش تجهيزها ، خرجت بالقيان والدفوف ، وكانوا تسعماية وخمسون مقاتلاً ، وقادوا معهم مائة فرس بَطَراً وتجبُّراً ، وسبعمائة من الإبل ، وأبو جهل يقول : « أيظن محمدٌ أن يصيب منّا ؟ سيعلم أنمنع عِيرنَا أم لا ».

ومضت قريش في طريقها ينحرون ويطعمون الطعام لكل من وفد عليهم.

لكن يبدو أن أكثرهم كان متشائماً من تلك الرحلة بالرغم من كثرتهم عدةً وعدداً ، إلا أن الكبرياء والجبروت طالما دفعا بأهلهما نحو المصير الأسود.

1- الكامل 2 / 117 والسيرة النبوية 2 / 182 - 183 والطبري 2 / 270 - 271 بعبارات مختلفة.

2- الكامل 2 / 118 - 119.

جـاء في حـديث حكيم بن حزام قوله : مـا توجهت وجهـاً قط كان اكَرهَ إليَّ من مسـيري إلي بـدر ، ولا بان لي في وجهٍ قط ما بان لي قبل أن اخرج ، وخرجت علي ذلك حتي نزلنا « مرَّ الظهران » فنحر ابن الحنظليـة جزوراً منها بها حياة ، فما بقي خِباء من أخبيـة العسـكر أصابه من دمها ، وتشاءمت من ذلك وهممت أن أرجع.

ثم قال : ولقـد رأيت حين بلغنا الثنية البيضاء (1) وإذا عدّاس (2) جالس عليها والناس يمرون ، إذ مر علينا ابنا ربيعة – عتبة وشـيبة – فوثب إليهما وأخذ بأرجلهما وهو يقول : بأبي أنتما وأمي ، والله إنه لرسول الله ، وما تساقان إلا مصارعكما – وان عينيه لتسيل دمعاً علي خديه.

أبو سفيان ينجو بالقافلة ويأمر قريشاً بالرجوع وقريش ترفض

واتجه ابو سـفيان بالعير نحو الساحل تاركاً بدراً إلي يساره حتي نجا بها ، عند ذلك أرسل قيس بن أمرؤ القيس إلي القرشيين يأمرهم بالرجوع ، ويقول لهم : « قـد نجت عيركم وأموالكم فلاـ تحرزوا انفسـكم أهـل يثرب فلاـ حاجـة لكم فيمـا وراء ذلـك ، إنما خرجتم لتمنعوا عيركم واموالكم وقد نجاها الله !! ».

وقال له : فإن أبوأ عليك ، فلا يأبون خصلةً واحدةً. يردون القيان.

وذهب قيس إلي قريش ، وابلغهم قول ابي سفيان ، فأبوا الرجوع ، قالوا : وأما القيان ، فسنردهن.

1- * عقبة قرب مكة تهبطك الي فخ وانت مقبل من المدينة تريد مكة ؛ اسفل مكة من قبل ذي طوي.
2- * عداس : رجل نصـراني كان يعمل عند عتبة وشـيبة في بسـتان لهما في الطائف ، وله مع النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حوارٌ حين ذهب (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ؛ الي الطائف. – شرح النهج 14 / 99.

ولحق قيس أبا سفيان بالهدة ، قبل دخوله لمكة بنحو من تسعة وثلاثين ميلاً فأخبره بمضي قريش.

فقال أبو سفيان : واقوماه ، هذا عمل عمرو بن هشام يكره أن يرجع لأنه قد ترأس علي الناس وبغي ، والبغي منقصة وشؤم ، والله لئن أصاب أصحاب محمد النفير ذللنا إلي أن يدخل مكة علينا.

وكان أبو جهل قد أصر علي المضي في طريقه ، وقال : « والله لا نرجع حتي نرد بدراً – وكانت يومذاك موسماً من مواسم العرب في الجاهلية يجتمعون فيها وفيها سوق – تسمع العرب بنا وبمسيرنا فنقيم علي بدر ثلاثاً ، فننحر الجزر ، ونطعم الطعام ونشرب الخمر ، وتعزف علينا القيان فلن تزال العرب تهابنا أبداً.

« رجوع بني زهرة الي مكة »

وكان الأخنس بن شراق حليفاً لبني زهرة ، فقال لهم : « يا بني زهرة ، قد نجي الله عيركم ، وخلّص أموالكم ، ونجي صاحبكم مخرمة بن نوفل ، وإنما خرجتم لتمنعوه وماله ، وانما محمد رجل منكم وابن اختكم ، فإن يك نبياً فأنتم أسعد به ، وان يك كاذباً يلي قتله غيركم خير من أن تلو أنتم قتل ابن أختكم ، فارجعوا وأجعلوا خبثها لي ، فلا حاجة لكم أن تخرجوا في غير ما يهمكم ، ودعوا ما يقوله أبو جهل ، فإنه مهلك قومه ، سريع في فسادهم.

فاطاعته بنو زهرة .. ولم يشهد هذه الحرب زهري البتة. (1)

فقدان التوازن بين الفريقين

وكان أبرز مظاهر هذه الحرب فقدان التوازن العسكري والمادي بين

1- شرح النهج 14 – 106 – الي 109.

الفريقين ، فقد كان عدد المسلمين ثلاثمائة او يزيدون قيلاً ، بينما كان عدد المشركين يتراوح بين التسعمائة والألف.

وقاد المشركون معهم مائة فرس وسبعمائة من الابل.

بينما قاد المسلمون معهم فرساً واحدة يقال لها : سبحة ، كانت للمقداد بن عمرو ، وسبعون رأساً من الإبل يتعاقب علي كل واحد منها الأثنان والثلاثة والأربعة ، حتي أن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كان هو وعلي بن أبي طالب وزيد بن حارثة يتعاقبون بعيراً واحداً.

وكانت قريش تنحر الجزر وتطعم الطعام لكل من وفد عليها ، بينما كان المسلمون في غاية الفقر والحاجة ، إلي ما هنالك من عوامل أبرزت هذا التمايز الواضح بين الفريقين ، لكن ارادة الله سبحانه كانت فوق الظنون والإحتمالات واستباق النتائج.

النبي في طريقه الي بدر

قال الواقدي :

وسار رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) حتي بلغ الروحاء ليلة الأربعاء للنصف من شهر رمضان فقال لأصحابه :

هذا سجاسج – يعني وادي الروحاء – هذا أفضل أودية العرب ، وصلي هناك فلما فرغ من صلاته لعن الكفرة ، ودعا عليهم وقال :

اللهم لا تفلتني أبا جهل بن هشام فرعون هذه الأمة ، اللهم لا تفلتني زمعة ابن الأسود ، اللهم أسخن عين أبي زمعة ، اللهم أعم بصر أبي دبيلة ، اللهم لا تفلتني سهيل بن عمرو (1).

1- المصدر السابق – 110.

ثم دعا لقوم من قريش كانوا قد أسروا الإسلام وكانوا من المستضعفين فخرجوا مع القوم مكرهين ، كسلمة بن هشام ، وعياش بن ربيعة.

ولما وصل قريباً من بدر ، أخبر بمسير قريش ، فأخبر أصاحبه بذلك واستشارهم في الأمر ليكونوا علي بصيرة من ذلك ، وخشي أن لا يكون للأنصار رغبة في القتال لأنهم عاهدوه علي أن يدافعوا عنه في بلدهم فيمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم.

فقال عمر بن الخطاب : يا رسول الله انها قريش وغدرها ، والله ما ذلت منذ عزَّت ، ولا آمنت منذ كفرت ، والله لا تسلم عزها أبداً ، ولتقاتلنك ، فاتهب لذلك أهبته ، واعد لذلك عدته (1).

موقف المقداد

ومن الواضح أن الوضع كان غايةً في الدقة والحرج نظراً لفقدان التوازن كما أسلفنا ، لذا فإنه كان يتطلب مزيداً من الثبات والإصرار وبث الروح الجهادية بين الصفوف والتسليم المطلق بما يقوله النبي.

قام المقداد فقال : يا رسول الله ، امض لأمر الله فنحن معك ، والله لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسي : إذهب انت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون.

والذي بعثك بالحق ، لو سرت بنا إلي برك الغماد(2) لجالدنا معك من دونه حتي تبلغه .. ».

فقال له رسول الله خيراً ودعا له

1- سيرة المصطفي 339.

2- بِركُ الغِماد : موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلي البحر ، وقيل : بلد باليمن ..

ثم قال رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أشيروا علي أيها الناس.

فقام سعد بن معاذ ، فقال : كأنك تريدنا يا رسول الله ؟

فقال (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : نعم.

قال سعد : قد آمنا بك – يا رسول الله – وصدقناك واعطيناك عهودنا فامضي – يا رسول الله – لما أمرت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضنه معك ، وما نكره أن تلقي العدو بنا غداً ، وانا لصبرٌ عند الحرب ، صدقٌ عند اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا علي بركة الله. (1)

كانت هذه الكلمات من المقداد – المهاجري – وسعد – سيد الأوس – تبعث في نفوس المسلمين الأمل بالنصر علي عدوهم ، وتزرع في قلوبهم الصبر علي مكاره الحرب ،

لكن يبدوا أن كلمات المقداد كان لها وقع خاص في نفس النبي(صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فإنه حين سمعها انفرجت اسارير وجهه ابتهاجاً كما يظهر من حديث ابن مسعود حيث قال :

« لقد شهدت مع المقداد مشهداً لئن أكون صاحبه أحب الي مما طلعت عليه الشمس ! – ثم ذكر كلمة المقداد – ثم قال : فرأيت رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يشرق وجهه بذلك وسرّه وأعجبه.(2)

النبي(صلي الله عليه و آله) في وادي بدر

بعد ذلك ، قال رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : سيروا بنا علي بركة الله ، فإن الله قد وعدني احدي الطائفتين ، والله لكأني انظر إلي مصارع القوم.

1- الكامل 2 / 120.

2- الإستيعاب 3 – 474.

ثم مضي في مسيره حتي نزل وادي بدر عشاء ليلة الجمعة لسبع عشرة ليلة مضت من رمضان.

فجاءه سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله ، نبني لك عريشاً من جريد فتكون فيه ونترك عندك ركائبك ثم نلقي عدونا ، فإن اعزنا الله وأظهرنا عليهم ، كان ذلك مما أحببناه ، وان كانت الأخري جلست علي ركائبك فلحقت بما وراءنا من قومنا ، فقد تخلف عنك أقوام ما نحن بأشد حباً لك منهم ، ولو ظنوا أنك تلقي حرباً ما تخلفوا عنك ، يمنعك الله بهم ، يناصحونك ويحاربون معك.

فأثني عليه رسول الله خيراً ودعا له. (1)

قريش تنزل الوادي

وأقبلت قريش بخيلائها وفخرها ، فلما رآها رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال : اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادّك وتكذّب رسولك ، اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أحنهم الغداة (2).

استعداد المسلمين للحرب

ودفع رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) رايته إلي علي بن أبي طالب ، وكانت تسمي « العُقاب » وأعطي لواء المهاجرين إلي مصعب بن عمير ، ولواء الخزرج إلي الحباب بن المنذر ولواء الأوس الي سعد بن معاذ.

1- الكامل : 2 - 122.

2- الكامل : 123.

غرور أبي جهل

ونظرت قريش إلي قلة المسلمين ، فقال أبو جهل : ما هم إلا أكلة رأس لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم باليد.

فقال عتبة بن ربيعة : أتري لهم كمين أو مدد ؟ فبعثوا عمير بن وهب الجمحي وكان فارساً شجاعاً ، فجال بفرسه حول عسكر النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثم رجع إليهم فقال : القوم ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاـ او ينقصون قليلاً. ولكن أمهلوني حتي أنظر إذا كان لهم كمين أو مدد.

فضرب في الوادي حتي أبعد ، فلم يرَ شيئاً ، فرجع اليهم وقال :

ما رأيت شيئاً ، ولكن وجدت – يا معشر قريش – البلايا (البراذع) تحمل المنايا ، نواضح يثرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس لهم منعة ولاـ ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أري أن يقتل رجل منهم حتي يقتل رجلاً منكم ، فإن أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد ذلك الا ترون انهم خرس لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعي ما أري انهم يولون حتي يقتلوا بعددهم !

فقال له أبو جهل : كذبت وجبنت.

وأرسل إليهم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن أرجعوا من حيث أتيتم ، فلئن يلي هذا الأمر مني غيركم أحب إليّ من أن تلوه أنتم.

فقال عتبة : ما رد هذا قوم قط ، وأفلحوا. ثم ركب جمله الأحمر ، فنظر إليه رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو يجول بين العسكرين وينهي عن القتال ، فقال : إن يكن بأحد منهم خير فعند صاحب ذلك الجمل وان يطيعوه يرشدوا.

ووقف عتبة يخطب في أصحابه ، فقال : يا معشر قريش أطيعوني اليوم واعصوني الدهر ! إن محمداً له إلٌّ وذمه ، وهو ابن عمكم فخلوه والعرب ، فإن يكن صادقاً فأنتم أعلي عيناً ، وان يكن كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

قـال حكيم بن حزام : فانطلقت إلي أبي جهل ، فوجـدته قـد نثل درعاً وهو يهيؤها فاعلمته ما قال عتبـة. فقال : انتفـخ والله سـحره حين رأي محمداً وأصحابه ، والله لا نرجع حتي يحكم الله بيننا وبين محمد ، وما بعتبة ما قال ، ولكن رأي ابنه أبا حذيفة فيهم وقد خافكم عليه.

وبلغ ذلك عتبة ، فقال : سـيعلم المصـفّر أسته من انتفخ سحره ، أنا ، أم هو ؟ ثم إلتمس بيضةً يدخلها رأسه. فما وجد في الجيش بيضةً تسعه من عظم هامته ، فاعتجر ببرد له (1).

بدء القتال

وكان عتبة قد قال أنه يتحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذي قتله المسلمون في مكان يقال له نخلة ، وذلك في غزوة العشيرة ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فخاف أن ينجح عتبة في خطته ويرجع الناس بدون قتال ، فجاء إلي عامر بن الحضـرمي أخي عمرو وقال له : هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس ، وقد رأيت ثارك بعينك ، فقم فانشد خفرتك ومقتل أخيك.

فقام عامر فاكتشف ، ثم صرخ ، واعمراه .. واعمراه .. فحميت الحرب ، وحقب أمر الناس واستوسقوا علي ما هم عليه من الشر.

وخرج الأسود بن عبد الأسد المخزومي – وكان سيئ الخلق – فقال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه.

فخرج إليه حمزة بن عبـد المطلب ، فضـربه فـأطن قـدمه بنصف سـاقه فوقع علي الأرض ثم حبا إلي الحوض ، فاقتحم فيه ليبر يمينه ، وتبعه حمزة فضربه حتي قتله في الحوض.

1- الطبري 2 – 279 والكامل 2 – 124.

مقتل عتبة وشيبة والوليد

ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة ، والوليد بن عتبة ودعوا إلي المبارزة.

فخرج إليهم عوف ومعوذ ابنا عفراء ، وعبد الله بن رواحة وهم من الأنصار.

فقالوا : من أنتم ؟ قالوا : من الأنصار. فقالوا : أكفاءٌ كرام وما لنا بكم من حاجة ، ليخرج إلينا أكفاؤنا من قومنا.

فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قم يا حمزة ، قم يا عبيدة بن الحارث ، قم يا علي فقاموا ، ودنا بعضهم من بعض ، وانتسبوا لهم.

فقال عتبة : أكفاءٌ كرام.

فبارز عبيدة بن الحارث بن المطلب عتبةً.

وبارز حمزة شيبة.

وبارز علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الوليد. (1)

أما حمزة فلم يمهل شيبه حتي قضي عليه في الضربة الأولي.

وكذلك فعل علي بن أبي طالب ، فإنه لم يمهل الوليد حتي قتله.

وأما عبيدة وعتبة ، فكل منهما قد ضرب صاحبه وأصابه بجروح لا يرجي منها الشفاء. فكرَّ الحمزة حينئذٍ علي عتبة يبارزه ، فصاح المسلمون : يا علي ، أما تري الكلب قد بهر عمك ؟ – وكان الحمزة وعتبة قد اعتنقا بعد أن تكسر سيفهما ، والحمزة أطول من عتبة – فقال له علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : يا عم طأطأ رأسك ، فادخل الحمزة رأسه في صدر عتبة ، فضرب علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) عتبة ،

1- الكامل 2 / 124 / 125.

فقدَّه نصفين (1).

ثم حملا عبيدة بن الحارث ، وكانت قد قطعت ساقه ، فألقياه بين يدي رسول الله(صلي الله عليه و آله) فاستعبر عبيدة وقال ألستُ يا رسول الله شهيداً ؟

قال(صلي الله عليه و آله) : بلي.

قال : لو كان أبو طالب حياً لعلم أني أحق بما قال :

كذبتم وبيت الله نخلي محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضلِ

وننصره حتي نُصرّع حوله * ونذهَل عن أبنائنا والحلائل

ثم مات رضي الله عنه ، وتزاحف القوم ودنا بعضهم من بعض ، وكان شعار النبي في هذه الغزوة : يا منصور أمت (2).

وكان من دعاء النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في ذلك اليوم قوله : « اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض ، اللهم انجز لي ما وعدتني .. ».

وبرز بعد ذلك حنظلة بن أبي سفيان إلي علي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فلما دنا منه ، ضربه علي بالسيف فسالت عيناه ولزم الأرض (3).

وبرز بعد ذلك العاص بن سعيد بن العاص (4) فبرز إليه علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقتله.

1- سيرة المصطفي 347.

2- شرح النهج 14 / 130 / 133.

3- والي ذلك يشير امير المؤمنين بقوله : - مخاطباً معاوية - « وعندي السيف الذي اعضضت به أخاك وخالك وجدك يوم بدر » (شرح النهج 14 - 131).

4- وقد وصف عمر بن الخطاب العاص لولده سعيد بقوله : « مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال كما يبحث الثور بقرنه فهبته وزغت عنه ، فقال : إلي يا بن الخطاب ! فصمد له علي وتناوله ، فوالله ما رمت مكاني حتي قتله ». سيرة المصطفي - 347 وفي شرح النهج ، قول عمر لسعيد : مالي أراك معرضاً كأني قتلت أباك ! إني لم أقتله ولكن قتله أبو حسن ، - وكان علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حاضراً - فقال : اللهم غَفراً ! ذهب الشرك بما فيه ، ومحا الإسلام ما قبله ، فلماذا تَهاجَ القلوب ؟! فسكت عمر. وقال سعيد : لقد قتله كُفءٌ كريم ، وهو أحب الي من أن يقتله من ليس من بني عبد مناف - 14 - 144 - 145.

قال الواقدي وابن اسـحاق : وأخذ رسول الله(صلي الله عليه و آله) كفاً من البطحاء فرماهم بها ، وقال : شاهت الوجوه ! اللهم ارعب قلوبهم ، وزلزل أقدامهم ، فانهزم المشركون لا يلوون علي شيء ، والمسلمون يتبعونهم يقتلون ويأسرون. (1)

وكان بلال بن رباح الحبشـي يعجن عجيناً ، فبصـر بأمية بن خلف (2) فترك العجين وصاح بأعلي صوته : يا أنصار الله هـذا أميـة بن خلف رأس الكفر ، لا نجوت إن نجا. فاحاطوا به حتي جعلوه في مثل المسكة (3) وقتلوه مع ولده علي بن أمية.

وكان المقداد قد أسـر النضـر بن الحارث ، فلما خرج النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من بدر وكان بالأثيل (4) عرض عليه الأسري ، فنظر إلي النضـر بن الحارث فأبدَّه البصر ، فقال لرجل إلي جنبه : محمد والله قاتلي ! لقد نظر إلي بعينين فيهما الموت ! فقال الذي إلي جنبه : والله ما هذا منك إلا رعب !

فقال النضر لمصعب بن عمير : يا مصعب ، أنت اقرب من ههنا بي

1- شرح النهج 14 - 146.

2- كان أميـة بن خلف من جبابرة قريش وعتاتهم ، وكان يعـذب بلالاً في مكة ، يخرج به إلي الرمضاء إذا حميت فيضـجعه علي ظهره ، ثم يأمر بالصـخرة العظيمـة فيضـعها علي ظهره ، ثم يقول له : لا تزال هكـذا ، أو تفارق دين محمد. فيقول بلال : أحد .. أحد .. كما في شـرح النهج 14 - 138.

3- المسكة : السوار.

4- الأُثيل : تصغير الأثل ، موضع قرب المدينة.

رحماً. كلم صاحبك أن يجعلني كرحل من أصحابي ، هو والله قاتلي إن لم تفعل.

قال مصعب : إنك كنت تقول في كتاب الله كذا وكذا ، وتقول في نبيّه كذا وكذا.

قال : يا مصعب ؛ فليجعلني كأحد أصحابي إن قتلوا قتلت ، وان منَّ عليهم منَّ علي.

قال مصعب : إنك كنت تعذب أصحابه.

قال : أما والله لو اسرتك قريش ما قتلت أبداً وأنا حي.

قال مصعب : والله اني لأراك صادقاً ، ولكن لست مثلك ، قطع الإسلام العهود.

وأمر النبي(صلي الله عليه و آله) علياً أن يضرب عنقه. (1)

كان المقداد يستمع – في هذا الحال – إلي الحوار الذي جري بين النضر بن الحارث ومصعب بن عمير وكأنه ينتظر فرصةً تسمح للصفح والعفو عنه عسي أن يجعل الله في ذلك خيراً ، فلما أمر النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علياً بضرب عنقه ، صاح المقداد بأعلي صوته :

يا رسول الله ، أسيري ؟! (2)

فقال رسول الله(صلي الله عليه و آله) : اللهم اغن المقداد من فضلك. ثم ضرب علي عنقه.(3)

وبدأ تقسيم الغنائم ، فكان لكل مسلم سهم ما عدا المقداد ، فكان له

1- شرح النهج 14 - 171.

2- يستفاد هذا المعني من موقف آخر لمقداد كما تقدم في سريه«نخله»

3- المصدر السابق

سهمان سهم له ، وسهم لفرسه « سبحة »(1) وكان يتفاخر بذلك ويقول :

« ضرب لي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يومئذٍ بسهم ، ولفرسي بسهم ! وقائل يقول : ضرب رسول الله يومئذٍ للفرس بسهمين ، ولصاحبه بسهم » (2).

ص: 79

1- سبحة : أول فرس لأول فارس في الإسلام ، (فعن القاسم بن عبد الرحمن قال : أول من عدا به فرسه في سبيل الله ، المقداد بن الأسود. وعن علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد بن عمرو - الطبقات الكبري 3 - 162 وكانت في فترة ما من التاريخ حديث المجالس في المدينة وفي مكة وفي جوارهما ، وكان المقداد يتفاخر بذكرها وتعداد مآثرها ومن ذلك قوله : « شهدت بدراً علي فرسٍ لي يقال لها : سبحة » الإصابة 3 - 454 - 455 وكان يقول : « شهدت بدر الموعد علي فرسي سبحة اركب ظهرها ذاهباً وراجعاً ، فلم يلق كيداً » المغازي 387. ويحكي : أن عبيد بن ياسر كان « قد أهدي للنبي فرساعتيقاً يقال له : مراوح وقال : يا رسول الله : سابق ، - أي هذا سابق غيره - فأجري رسول الله الخيل بتبوك ، فسبق الفرس ، فأخذه رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) منه ، فسأله المقداد بن عمرو الفرس. فقال رسول الله : أين سبحة ؟! فقال : يا رسول الله ، عندي ، وقد كبرت. وأنا أظنُّ بها للمواطن التي شهدتُ عليها ، وقد خلفتها لبعد هذا السفر وشدة الحر عليها ، فأردت أن أحمل هذا الفرس المعرق عليها فتأتي بمهر ! فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : فذاك ، إذن. فقبضه المقداد ، فخبر منه صِدقاً ثم حمله علي سبحة ، فنتجت له مهراً كان سابقاً ، يقال له : الذيّال. سبق في عهد عمر وعثمان ، فابتاعه منه عثمان بثلاثين ألفا. المغازي 1033.

2- المغازي 102 - 103.

النضر بن الحارث

النضـر بن الحارث بن علقمة بن كلدة .. كان أشد قريش في تكذيب النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والأذي له ولأصحابه. وكان ينظر في كتب الفرس ويخالـط اليهود والنصـاري وسـمع بـذكر النبي وقرب مبعثه فقال : إن جاءنا نـذير لنكونَنَّ أهـدي من احـدي الأمم فنزلت الآيـة : (وأقسموا بالله جهد أيمانهم ...) 6 – 109 وكان يقول : إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين. فنزل فيه عدة آيات.

وأتي النضـر وعقبة بعض أهل الكتاب فقالوا : اعطونا شـيئاً نسأل عنه محمداً. فقالوا : سـلوه عن فتيةٍ هلكوا قديماً ، وعن رجل طاف حتي بلغ المشرق والمغرب ، فسألوه عن أهل الكهف وذي القرنين ، فانزل الله عز وجل في أمرهم ما أنزل.

وقال النضـر وأميـة بن خلف وأبو جهل للنبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : ان كان قرآنك من عند الله فأحيي لنا آبائنا ، وأوسع لنا بلدنا بأن تسـير هذا الجبال عنا فقد ضـيَّقت مكة علينا ، أو أجعل لنا الصـفا ذهباً نسـتغني عن الرحلة (رحلة الشـتاء والصيف) فإن فعلت ذلك ، آمنا بك : وكـان النضـر خطيب القوم ، فـانزل الله سـبحانه : (ولو أن قرآنـاً سُـيّرت به الجبال أو قُطعت به الأرضُ أو كُلّم به الموتي – الي قول تعالي – فكيف كان عقاب) (الرعد 13 – 31).

وأخذ النضر عظماً نخراً فسحقه ونفخه ، وقال : من يحي هذا يا محمد ؟

فنزلت فيه الآية : (وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم ..) أنساب الأشراف 1 / 142 – 143.

اسر في بدر أسره المقداد بن عمرو ، وقتل صبراً بالأثيل فقالت أخته :

يا راكباً إن الأُثيل مظنةٌ * من صبح خامسةٍ وانت موفق

بلغ به ميتاً فإن تحيةً * ما إن تزال بها الركائب تخفق

مني إليه وعبرةً مسفوحةً * جادت لما تحها واخري تخنق

فليسمعن النضر إن ناديته * إن كان يسمع ميت أو ينطق

ظلت سيوف بني أبيه تنوشه * لله أرحام هناك تمزق

صبراً يقاد الي المدينة راغماً * رسف المقيد وهو عانٍ موثَقُ

أمحمد ولأنت نجل نجيبةٍ * في قومها والفحل فحلّ معرق

ما كان ضرك لو مننت وربما * منَّ الفتي وهو المغيظُ المحنَقُ

والنضر اقرب من قتلتَ وسيلةً * واحقهم إن كان عتق يعتق

قال الواقدي : وروي أن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لما وصل إليه شعرها رقَّ له ، وقال : لو كنت سمعتُ شعرها قبل أن أقتله لما قتلته. شرح

النهج 14 – 171 – 172.

ص: 80

غزوة أحد

وقعت في السنة الثالثة للهجرة ، لسبع ليالٍ خلون من شوال فقد حشدت قريش ومعها المشركون ، جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل أو يزيد ، بينهم سبعمائة دارع ، وقادوا معهم مائتي فرس ، وثلاثة آلاف بعير (1) وقصدوا المدينة طلباً بالثأر لقتلاهم في بدر. (2)

وفي خلال الفترة التي كانوا يستعدون بها للخروج ، كان العباس بن عبد المطلب يطلع علي كل صغيرة وكبيرة من أمرهم ، فكتب إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كتاباً يعلمه فيه بتحركاتهم واستعداداتهم ، وعددهم وعدتهم ، وأرسله سرّاً مع رجل من غفار وأوصاه بالكتمان ، وأن يجدّ السير.

مضي الغفاري بالكتاب لا همَّ له إلا إيصاله إلي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ). (3)

ومضت قريش في طريقها إلي أحد ، فمروا بالأبواء حيث يوجد قبر أمنة أم النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأشارت هندُ علي المشركين بنبش القبر ، وقالت : « لو نجشتم قبر أم محمد فإن أسِرَ منكم أحد فديتم كل إنسان بإربٍ من إربها !! فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب. » (4).

ومضي الغفاري حتي وصل إلي المدينة في ثلاثة أيام ، فوجد النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)

1- كما في شرح النهج 14 / 217.

2- مقتضب.

3- مقتضب.

4- النصائح الكافية / 112.

في قبا ، علي باب مسجدها ، فدفع إليه كتاب العباس ، فدفعه النبي إلي أبي بن كعب فقرأه عليه ، فأمره النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن يكتم الخبر ولا يحدث أحداً بما فيه.

وعاد النبي إلي المدينة ، وقصد دار سعد بن الربيع ، وقص له ما بعث به العباس ، وأمره بالكتمان ، فقال سعد : والله إني لأرجو أن يكون في ذلك خير.

نزول قريش قرب المدينة

أما قريش ، فقد تابعت سيرها حتي بلغت العقيق ، ونزلت في سفح جبل علي خمسة أميال من المدينة ، ثم ساروا حتي نزلوا في مقابل المدينة بمكان يدعي : « ذو الحليفة » فتركوا خيلهم وإبلهم ترعي في زروع المدينة المحيطة بها.

وبعث النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنس ومؤنس ابني فضال يستطلعان له الخبر ، فألفياهم قد قاربوا المدينة واطلقوا الخيل والإبل في الزروع المحيطة بها.

وبعث رسول الله بعدهما الحباب بن المنذر سراً ، وقال له : إذا رجعت فلا تخبرني بخبرهم بين الناس ، إلا ان تري فيهم قلة ! فذهب حتي دخل بينهم ، ووقف علي عددهم وعدتهم ، فرجع وأخبره بحالهم. (1)

فقال (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لا تذكر من أمرهم شيئاً ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، اللهم بك أصول وبك أجول.

النبي يستشير أصحابه

واستشار النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أصحابه بشأن الخروج لملاقاة العدو ، فأشار عليه

1- سيرة المصطفي 393 - 394.

عبد الله ابن أبي سلول وبعض شيوخ الصحابة أن لا يخرج من المدينة.

لكن فتيان المهاجرين والأنصار والبعض الآخر من شيوخ الصحابة أحبوا الخروج إلي عدوهم وملاقاته حيث نزل بأرضهم.

فقال : أياس بن أبي أوس : إني يا رسول الله لا أحب أن ترجع قريش إلي قومها لتقول : حصـرنا محمـداً في صياصـي يثرب وآطامها ، فتكون هـذه جرأة لقريش ، وها هم قـد وطئوا سـعفنا ، فإذا لـم نذب عن عرضـنا وزرعنا ، فلم نزرع ؟ وقد كنا – يا رسول الله – في جاهليتنا والعرب يأتوننا فلا يطمعون بهذا منا حتي نخرج إليهم بأسـيافنا فنذبهم عنا ، فنحن اليوم أحق إذ أمدّنا الله بك ، وعرفنا مصـيرنا ، فلا نحصر أنفسنا في بيوتنا.

وقام خيثمة أبو سعد بن خيثمة ، فقال في جملة ما قال : .. وعسي الله أن يظفرنا بهم ، فتلك عادة الله عندنا ، أو تكون الأخري ، فهي الشهادة ، لقد أخطأتني وقعة بدر وكنت عليها حريصاً ، ولقد بلغ من حرصـي أني ساهمت ابني في الخروج فرزق الشـهادة .. وقد رأيت إبني البارحة في النوم في أحسن صورة ، يسـرح في ثمار الجنة وأنهارها ، وهو يقول : إلحق بنا ، ترافقنا في الجنة ، فقد وجدت ما وعدني ربي حقا ، وقد – والله – أصـبحت يا رسول الله مشتاقاً إلي مرافقته في الجنة ، وقد كبرت سني ، ودق عظمي ، وأحببت لقاء ربي فادع الله – يا رسول الله – أن يرزقني مرافقة سعدٍ في الجنة !

فدعا له رسول الله بذلك ، فقتل مع من قتل في تلك المعركة.

وقال الحمزة بن عبد المطلب : والذي أنزل عليك الكتاب ، لا أطعَم اليوم طعاماً حتي أجالدهم بسيفي خارجاً من المدينة.

وتتابع الناس ، كلٌّ يدلي برأيه وبما عنده ، ورسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يبدو كارهاً للخروج ، فلم يزالوا به حتي أظهر موافقته لهم.

فلما جاء وقت الصلاة من يوم الجمعة ، صلي بالناس وصعد المنبر ،

فوعظهم وحثهم علي الجد والإجتهاد والصبر ، وأخبرهم بأن النصر سيكون حليفهم إذا هم صبروا وأخلصوا في جهاد أعداء الله وأعداء رسوله ، ثم أمرهم أن يتجهزوا للقاء العدو.

النبي يتجهز للحرب

ولما حان وقت العصر ، صلي بهم ، وكانوا قد احتشدوا حول النبي ليعرفوا رأيه النهائي ، وحضر أهل العوالي ، ولما فرغ من صلاته ، دخل منزله ، ووقف الناس ينتظرون خروجه ، فقال لهم سعد بن معاذ وأسيد بن حضير : لقد إستكرهتم رسول الله علي الخروج فاتركوا الأمر اليه.

وخرج عليهم(صلي الله عليه و آله) لابساً لامته ، وقد تعمم ولبس الدرع وتقلد سيفه ، وتنكب القوس ، ووضع الترس في ظهره ، فلما رأوه بتلك الحال أقبل عليه جمع ممن كانوا قد تحمسوا للخروج ، وقد ندموا علي موقفهم مخافة أن تنزل فيهم آية من عند الله ، فقالوا : يا رسول الله ، ما كان لنا أن نخالفك ؟ فاصنع ما بدا لك ، والأمر إلي الله وإليك ! فإن خرجت ، خرجنا ، وأن أقمت أقمنا.

فرد عليهم النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بقوله : لقد دعوتكم لذلك فأبيتم ، وما ينبغي لِنَبي إذا لبس لامته أن يضعها حتي يحكم الله بينه وبين أعدائه ؛ أنظروا ما آمركم به فاتبعوه ، والنصر لكم ما صبرتم. (1)

ثم استخلف علي المدينة ابن ام مكتوم ليصلي بالناس ، وعقد ثلاثة ألوية ، فأعطي لواء المهاجرين لعلي بن أبي طالب ، ولواء الأوس إلي أسيد بن حضير ، ولواء الخزرج الي الحباب بن المنذر ، وقيل أعطاه إلي سعد بن عبادة ، وجعل علي الخيل الزبير ، ومعه المقداد بن الأسود ، وخرج الحمزة بالجيش بين

1- المصدر السابق.

يديه. (1) وركب رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فرسه ، وكان عدد المقاتلين ألفاً بينهم مائة دارع.

فلما كان بين المدينة وأحد ، عاد عبدالله بن أبي بثلث الناس ، فقال : أطاعهم محمد وعصاني ، وكان أتباعه من أهل النفاق والريب.

ومضي رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مع الصبح حتي بلغ أحداً ، فاجتازوا مسالكها ، وجعلوها بين أظهرهم وجعل الرماة وراءه وهم خمسون رجلاً ، وكان من جملتهم المقداد بن الأسود ، وأقر عليهم عبدالله بن جبير ، وقال له : إنضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ، واكد عليهم أن يلزموا مكانهم حتي ولو قتل المسلمون عن آخرهم.

وجعل رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يمشي علي رجليه يسوي تلك الصفوف ، ويبوئ أصحابه للقتال ، يقول : تقدم يا فلان ، وتأخر يا فلان ، حتي انه ليري منكب الرجل خارجاً فيؤخره .. حتي إذا استوت الصفوف ، سأل : من يحمل لواء المشركين ؟ قيل : بنو عبد الدار. قال : نحن أحق بالوفاء منهم. أين مصعب بن عمير ؟ قال : ها أنذا ! قال. خذ اللواء ، فأخذه مصعب بن عمير فتقدم به بين يدي رسول الله.

ثم نهي المسلمين أن يقاتلوا القوم حتي يأمرهم بالقتال.

خطبة النبي في أصحابه

ثم قام رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فخطب الناس ، فقال : يا أيها الناس ، أوصيكم بما أوصاني الله في كتابه ، من العمل بطاعته والتناهي عن محارمه ، ثم أنكم اليوم بمنزل أجر وذخر لمن ذكر الذي عليه ثم وطن نفسه له علي الصبر واليقين والجد والنشاط فإن جهاد العدو شديد ، شديد كَرْبُه ، قليل من يصبر

1- هكذا في الطبري وفي الكامل 2 / 152.

عليه إلاّ من عزَمَ الله رُشـده ، فإن الله مع من أطاعه ، وان الشـيطان مع من عصاه ، فإفتتحوا أعمالكم بالصبر علي الجهاد ، والتمسوا بذلك ما وعـدكم الله ، وعليكم بالذي آمرُكم به ، فإني حريص علي رَشَدِكم ، فإن الإختلاف والتنازع والتثبيط من أمر العجز والضـعف مما لا يُحبُّ الله ، ولا يعطي عليه النصر ولا الظفر. يا أيها الناس ، جُدّد في صدري أن من كان علي حرام فرق الله بينه وبينه ، ومن رغب له عنه ، غفر الله ذنبه ، ومن صـلي عليَّ صـلي الله عليه وملائكته عشـرا ، ومن أحسن من مسـلم أو كافرٍ ، وقع أجره علي الله في عاجل دنياه أو آجل آخرته ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فعليه الجُمُعـة يوم الجمعة إلا صبياً أو إمرأة أو مريضاً ، أو عبداً مملوكاً ؛ ومن اسـتغني عنها اسـتغني الله عنه ، والله غني حميد.

ما أعلم من عمل يُقربكم إلي الله إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلي النار إلا وقد نهيتكم عنه. وإني قد نَفثَ في روعي الروح الأـمين أنه لن تموت نفس حتي تسـتوفي أقصـي رِزقهـا ، لاـ يُنقصُ منه شـيء وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله رَبَّكم وأجملوا في طلب الرزق ، ولا يحملنكم إستبطاؤه أن تطلبوه بمعصية ربكم ، فإنه لا يُقدرُ علي ما عنده إلا بطاعته.

لقد بُيِّن لكم الحلال والحرام غير أن بينهما شُبَهاً من الأمر لم يعلمها كثير من الناس إلا من عَصَم ، فمن تركها حفظ عرضه ودينه ، ومن وقع فيهـا ، كـان كـالراعي إلي جنب الحمي أوشـك أن يقع فيه. وليس ملك إلا وله حمي ، آلا وإن حمي الله مَحارمُه. والمؤمن من المؤمنين ، كالرأس من الجسد ، إذا اشتكي تداعي عليه سائُر الجسد ، والسلام عليكم ! (1)

1- مغازي الواقدي 1 / 221 - 223.

المشركون يُسوون صفوفهم

أما المشركون فقد استدبروا المدينة واستقبلوا أُحداً ، وصفوا صفوفهم ، فأستعملوا علي الميمنة خالد بن الوليد ، وعلي الميسرة عكرمة ابن أبي جهل ، وعلي الخيل صفوان بن أمية ، وعلي الرماة ، عبيد الله بن أبي ربيعة ، وأعطوا اللواء إلي طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار.

وأرسل أبو سفيان إلي الأنصار يقول : خلّوا بيننا وبين ابن عمنا ، فننصرف عنكم ، فلا حاجة بنا إلي قتالكم. فرد عليه المسلمون بما يكره !

وصاح ابو سفيان يُحرض بني عبد الدار ويقول : يا بني عبد الدار ، إنكم قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تُخلوا بيننا وبينه نكفيكموه ، فإنا قوم مستميتون موتورون نطلب ثأراً حديث العهد. فغضب بنو عبد الدار وقالوا : نحن نُسلّم لواءنا ؟! لا كان هذا أبداً ، وأغلظوا القول لأبي سفيان.

بدء القتال

ثم أخرج رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) سيفاً وقال : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟ فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، وما زال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يردد قوله حتي قام أبو دجانة الأنصاري واسمه ، سماك بن خرشة ، من بني ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، حقه أن تضرب به العدو حتي ينحني ! قال : أنا آخذه – يا رسول الله – ، فأعطاه إياه.

وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب ، ويعتصب بعصابةٍ له حمراء ، فإذا إعتصب بها عرف الناس أنه عازم علي الحرب.

ثم بـدأت المعركة ، وقام الرماة يرمون خيل المشـركين بالنبل ، فولّت هاربةً ، ودنا القوم بعضـهم من بعض. « وأقبل خالد بن الوليد وعكرمة فلقيهما الزبير والمقداد فهزما المشركين » (1).

وتقدم طلحة – حامل لواء المشـركين – وصار النسوة خلف الرجال يضربن بين أكنافهم بالطبول والدفوف ، وهند ومن معها يحرضن الرجال ، ويذكرن قتلي بدر ويقلن :

نحن بنات طارق * تمشي علي النمارق

مشي القطا البوارق * المسك في المفارق

والدر في المخانق * إن تقبل–وا نعانق

أو تدبروا نفارق * فراق غير وامق

وتقدم طلحة صاحب اللواء ، وصاح : هل من مبارز ؟

فقال له علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : هل لك في مبارزتي ؟ قال : نعم.

فبرزا بين الصـفين ورسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) جالس تحت الراية وعليه درعان ومغفر وبيضة ، فالتقيا بسـيفيهما ، فضربه عليٌّ ضربةً علي رأسه ، فمضـي السـيف حتي فلق هامته وانتهي إلي لحيته ، فوقع كالثور يخور بدمه ، وانصرف عنه علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، فلما قتل طلحة ، كبر رسول الله تكبيراً عالياً ، وكبر معه المسلمون ، فقيل لعلي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) هلاَّ ذَفَفتَ (أجهزت) عليه ؟ فقال : لما صُرع ، استقبلني بعورته ، وسألني الرَحِم.

ثم شـد أصـحاب رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علي كتائب قريش يضـربون وجوههم ، حتي انتقضت صـفوفهم ، وقد حمل اللواء بعد طلحة أخوه

1- راجع الكامل 2 / 152 وكذلك في الطبري.

عثمان بن أبي طلحة ، فتقدم وأنشد :

إن علي ربّ اللواء حقا * أن يخضب الصعدة أو ينقدّا

فتقدم باللواء والنسوة خلفه يُحرّضْنَ ويضربن الدفوف. فحمل عليه حمزة بن عبد المطلب ، فضربه بالسيف علي كاهله ؛ فقطع يده وكتفه حتي إنتهي إلي مئزره ، فبدا سحره ، ثم رجع عنه وهو يقول أنا ابن ساقي الحجيج !

وحمل اللواء بعدهما أخوهما أبو سعيد ابن أبي طلحة ، فحمل عليه علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقتله.

ثم حمل اللواء بعده مسافع بن طلحة ، فرماه عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح فقتله ! فنذرت أمه – وأسمها سلافة – أن تشرب الخمر في قحف رأس عاصم ، وجعلت لمن جاءها برأسه مائةً من الإبل. (1)

ثم حمل اللواء أخوه كلاب بن طلحة بن أبي طلحة ، فقتله الزبير بن العوام.

ثم أخذ اللواء اخوه الجلاس بن طلحة ، فقتله طلحة بن عبيد.

ثم حمله أرطاة بن شرحبيل ، فقتله علي بن أبي طالب.

ثم حمله غلام لبني عبد الدار ، فقتله علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

وتعاقب حملة اللواء من بني عبد الدار ، حتي قتل منهم تسعة من أشد أبطال المشركين. (2)

1– فلما قتل عاصم ; في غزوة الرجيع ، جاء الوادي بسيل فحمله ، ولم يجدوا له أثراً.
2– سيرة المصطفي 405 – 406.

سبب هزيمة المسلمين

قـالوا : مـاظفّر الله نبيه في موطن قـط ، مثـل ما ظفّره وأصـحابه يوم أُحـد ، حتي عصوا الرسول وتنازعوا في الأمر ! لقـد قتل أصـحاب اللواء وانكشف المشركون منهزمين لا يلوون ونساؤهم يدعون بالويل .. قال الواقدي : وقد روي كثير من الصحابة ممن شهد أحداً ، قال كل واحد منهم : والله إني لأنظر إلي هنـد وصواحبها منهزمات ، ما دون أخذهن شـيء لمن أراد ذلك ، وكلما أتي خالدٌ من قِبل ميسـرة النبي (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ليجوز حتي يـأتي من قبل السـفح فيرده الرماة ، حتي فعلوا ذلك مراراً ، ولكن المسـلمين أوتوا من قبل الرماة ، إن رسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أوعز إليهم فقال : قوموا علي مصافكم هذا ، فاحموا ظهورنا ، فإن رأيتمونا قد غنمنا فلا تشركونا ، وأن رأيتمونا نقتل فلا تنصـرونا ، ! فلمـا انهزم المشـركون وتبعهم المسـلمون يضـعون السـلاح فيهم حيث شـاؤا حتي أجهضوهم عن العسـكر ، ووقعوا ينتهبون العسـكر ؛ قال بعض الرماة لبعض : لِمَ تُقيمون ههنا في غير شـيء ؟ قد هزم الله العدو وهؤلاء إخوانكم ينتهبون عسكرهم ، فادخلوا عسكر المشركين فاغنموا مع إخوانكم.

فقـال بعض الرماة لبعض : ألم تعلموا أن رسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال لكم : إحموا ظهورنا فلا تبرحوا مكانكم ، وإن رأيتمونا نقتل فلا تنصـرونا ، وان رأيتمونا غَنِمنا فلا تشـركونا ، أحموا ظهورنا » ؟ فقال الآخرون : لم يرد رسول الله هذا ، وقد أذل الله المشركين وهزمهم ، فادخلوا العسـكر فانتهبوا مع إخوانكم. فلما إختلفوا خطبهم أميرهم عبدالله بن جبير ، وكان يومئذٍ مُعلماً بثياب بيض ، فحمد الله وأثني عليه بما هو أهله ثم أمر بطاعة الله وطاعة رسوله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وألاّ يُخَالَفَ لرسول الله أمر.

فعصوا ، وانطلقوا ، فلم يبق من الرمـاة مع أميرهم عبـدالله إلاـ نفرٌ ما يبلغون العشـرة ، فيهم الحارث بن أنس بن رافع ، يقول : يا قوم ، إذكروا عهد نبيكم إليكم ، وأطيعوا أميركم.

قال : فأبوا ، وذهبوا الي عسكر المشركين ينتهبون. (1)

وكـان خالـد بن الوليـد قـد فرّ فيمن فر ، فولي بخيله هاربـاً ، لكنه نظر إلي الجبـل – الـذي كـان حريصاً علي أن يجـد منه منفـذاً لمهاجمته المسـلمين من ورائهم – فوجده خالياً ، إلا من أولئك النفر القلائل الذين ظلوا متمسكين بأمر الرسول فحانت الفرصة له ، فما كان منه إلا أن رجع واصـطدم بهم يقـاتلهم ، فرموه بالنبل حتي لم يبق معهم من النبال شـيء ، فسـلّوا سـيوفهم وأقبلوا علي تلك الخيل يضـربون وجوهها ودافعوا حتي النفس الأخير ، بقيادة عبدالله بن جبير.

عنـد ذلك نظر المنهزمون من المشـركين إلي خيلهم ، فوجـدوها قد رجعت لتهاجم المسـلمين من الوراء ، فانكفؤا عائدين ، وكان خالد بن الوليـد ومن معه قـد عاد من ناحيـة الجبل بعـد أن أباد تلك الفئـة القليلـة من المسـلمين ، ولم يشـعر المسـلمون إلا والعـدو قد تغلغل في أوساطهم وأصـبحوا كالمدهوشـين ، يتعرضون لضـرب السـيوف وطعن الرماح أينما اتجهوا ، واشتد الأمر عليهم حتي ضرب بعضهم بعضاً وهم يحسبون أنهم يضربون أعدائهم.

قصة قزمان

ومن طريف ما يروي :

أن قزمان – وهو من منافقي المدينة – قد تخلف عن أُحد ، فلما أصبح عيّره – نساء بني ظفر وقلن له : يا قزمان ، لقد خرج النساء وبقيت ! أما تستحي بما صنعت ؟! ما أنت إلا إمرأة. وما زلن به حتي دخل بيته ولبس لأمته وخرج يعدو حتي إنتهي إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو يسوي صـفوف المسـلمين ، فحين بـدأت المعركـة كان أول من رمي بسـهم من المسـلمين وجعل يرسل النبال كأنها الرماح ، ثم أخذ السيف وأمعن في القوم يقاتلهم أشد قتال.

1- المغازي للواقدي / 229 – 230.

فلما غلب المسلمون ؛ كسر جفن سيفه وجعل يقول : الموت أحسن من الفرار ! يا للأوس ؛ قاتلوا عن الأحساب واصنعوا مثل ما أصنع. فكان يدخل بالسيف في وسط المشركين حتي يقال لقد قُتل ! ثم يخرج من بينهم ويقول : أنا الغلام الظفري ، حتي قتل منهم سبعة رجال ، وأصابته جراحات كثيرة فضعف عن القتال وهوي الي الأرض ، فمر به قتادة بن النعمان ، فقال له : يا أبا الغيداق ، قال قزمان : لبيك !

قال : هنيئاً لك الشهادة.

قال قزمان : والله ما قاتلت – يا أبا عمرو – إلا علي الحفاظ حتي لا تسير قريش فتطأ سعفنا !

ثم إشتد عليه جرحه ، فأخذ سهماً فقطع به رواهشه ، فنزف الدم فمات.

وكان رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول فيه : إنه من أهل النار ! (1)

مقتل اليمان وثابت بن قيس

وفي هذه الفوضي الحادة قتل اليمان – والد حذيفة – وثابت بن قيس ، وكانا قد تخلفا في المدينة بأمر من الرسول(صلي الله عليه و آله) لأنهما شيخان كبيران ، فقال أحدهما للآخر : آلا نأخذ أسيافنا ونلحق برسول الله ؟ فاتفقا علي هذا الرأي ، وأقبلا مسرعين نحو المعركة وقد اشتبه عليهما موقع أصحابهما فدخلا من جهة المشركين ، فإلتفّت جماعة بثابت بن قيس فقتلوه ، واستطاع أبو حذيفة أن ينفذ حتي صار بين المسلمين – وهم لا يعرفون المسلم من غيره – فإتجه إليه بعض المسلمين وضربه بالسيف ، وابنه حذيفة يصيح :

1- شرح النهج 14 / 260 – 261 وغيره.

إنه أبي يا قوم ! لكن شدة الزحام وقعقعة الحديد حالا دون وصول صوته إلي سمع القاتل ، فخر قتيلاً ، فدفع النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بعد ذلك ديته ، فتصدق بها ولده حذيفة علي المسلمين.

هذا ، وعلي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) مع جماعةٍ من المسلمين قد أحاطوا برسول الله يدرأون عنه السهام والنبال والسيوف ، ويجالدون بين يديه ، حتي قتل حامل اللواء مصعب بن عمير ، فدفع النبي(صلي الله عليه و آله) اللواء إلي علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، وتفرق عنه اكثر أصحابه ، وحمل عليه المشركون وكان كل همهم أن يقتل النبي ، لكن علياً والحمزة وأبا دُجانة وسهل بن حنيف ونفراً غيرهم جالدوا وكافحوا كفاحاً لم يشهد له التاريخ مثيلاً.

قتال الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ودفاع علي

هذا ، ورسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثابت في مكانه ، يرميهم بقوسه ، ويطعن كل من دنا منه حتي نفد نبله وانقطع وتر قوسه ، وأصابته بعض الجراحات ، وأغمي عليه.

ولما أفاق الرسول من غشيته وفتح عينيه ، قال لعليّ : ما فعل الناس ؟

فقال علي : لقد نقضوا العهد وولوا الدُبُر ! وفيما هو يخاطبه ويقص عليه أخبار المنهزمين ، وإذا بكتيبةٍ من المشركين أتجهت صوب النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال : يا علي ؛ إكفني هؤلاء ، فانقض عليهم كالصقر فانهزموا بين يديه ، ... يطاردهم وإذا بكتيبةٍ اخري قد اتجهت نحو النبي وكادت ان تبلغ منه غايتها لولا أن عليّاً سمع النبي ثانيةً يقول : يا علي ، إكفني هؤلاء ، فانقض عليهم وفرقهم.

« وكانت الكتيبة تقارب خمسين فارساً ، وهو(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) راجل ، فما زال يضربها بالسيف حتي تتفرق عنه ثم تجتمع عليه ، هكذا مراراً حتي قتل تمام

الأربعة عشر – كما في شرح النهج – فقال جبرئيل(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) لرسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : يا محمد ، إن هذه المواساة ! لقد عجبت الملائكة من مؤاساة هذا الفتي.

فقال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : وما يمنعه ، وهو مني وأنا منه ! فقال جبرئيل : وأنا منكما. وسُمِعَ ذلك اليوم صوت من قِبل السماء لا يُري شخص الصارخ به ، ينادي مراراً :

لا سيف إلا ذو الفقار * ولا فتي إلا علي

فسئل رسول الله عنه ، فقال : هذا جبرئيل. (1)

وكان الرماة من أصحاب النبي (صَلّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) المذكور منهم : سعد بن أبي وقاص ، والسائب بن عثمان ابن مضعون ، والمقداد بن عمرو ، وزيد بن حارثة الخ .. (2).

جراح الرسول(صلي الله عليه و آله)

وكسرت رباعية النبي (صَلّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) السفلي ، وشقت شفته ، وكُلِمَ في وجنته وجبهته في أصول شعره ، وعلاه بن قمئة بالسيف – وكان هو الذي أصابه وكان قد تعاقد هو وجماعة من المشركين علي قتل رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، وقد حال الله بينهم وبين ذلك –

1- راجع شرح النهج 14 / 250 – 251 وفي الكامل 2 / 154 ذكر الأبيات وأن المنادي جبرئيل قال العلامة السيد هاشم معروف حفظه الله وعافاه : وقد روي هذا الخبر جماعة من المحدثين ، ورواه الطبري في تاريخه م 2 / 17 ورواه المحب الطبري في الرياض النضرة 2 / 172 وعلي بن سلطان في (مرماته) 5 / 568 وأخرجه أحمد في (المناقب) والهيثمي في (مجمع الزوائد) والطبراني وغيرهم.
2- المغازي : 1 / 243.

ولما جرح رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) جعل الدم يسيل علي وجهه ، وهو يمسحه ويقول : كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلي الله !؟ (1) وجعل علي ينقل له الماء في درقته من المهراس (ماء بجبل أحد) ويغسله ، فلم ينقطع الدم ، فأتت فاطمة وجعلت تعانقه وتبكي ، وأحرقت حصيراً وجعلت علي الجرح من رماده ، فانقطع الدم (2).

وفي رواية الطبري : أنه قد تفرق عن رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أصحابه من المهاجرين والأنصار ، وفرّ عثمان بن عفان حتي إنتهي إلي مكان بعيد عن المعركة (3) وكان ممن تفرق عنه عمر بن الخطاب وأن أنس بن النضر قال لعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقوا بأيديهم في ناحية : ما يجلسكم هنا ؟ – وكان قد شاع بين الناس أن رسول الله قد قتل –

فقالوا : لقد قتل محمد رسول الله.

فقال : وما تصنعون بالحياة من بعده ؟ قوموا فموتوا علي ما مات عليه رسول الله ، ثم تركهم واستقبل القوم ، فقاتل حتي قتل. (4)

ومضي الطبري يقول : انه قد فشا في الناس أن محمداً قد قتل ، فقال بعض أصحاب الصخرة – ممن فروا عن النبي والتجأوا اليها – ليت لنا رسولاً إلي عبدالله بن أبي ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان ، يا قوم إن محمداً قد قتل فارجعوا إلي قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم .. ألخ.

1- الكامل 2 / 155.

2- الكامل 157 / 158.

3- راجع الطبري 2 / 21.

4- راجع الطبري 2 / 20.

النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يدعو المسلمين

وجعل النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يدعو الناس ويقول : إلي عباد الله – يكررها ثلاثاً – فلم يستجب له إلا نفر قليل من المسلمين ، حتي إذا انتهي إلي أصحاب الصخرة ، فلما كان قريباً منهم وضع رجل سهماً في قوسه وأراد أن يرمي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو يظنه أحد المشركين – علي زعم الراوي – فصاح النبي به : أنا رسول الله ! ففرحوا بذلك وكانوا يظنون أن الرسول قد قتل.

وأقبل أبو سفيان ومعه جماعة ، حتي أشرف عليهم ، فلما نظروا إليه نسوا الذي كانوا عليه من الفرح بسلامة النبي ، وخافوا منه ومن جماعته. فقال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ليس لهم أن يعلونا. اللهم إن تقتل هذه العصابة لا تعبد أبداً. ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتي أنزلوهم.

فنادي أبو سفيان : اعل هبل.

فأمر رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن يرد عليه : الله أعلي وأجل.

فقال أبو سفيان : إن لنا العُزي ولا عُزي لكم.

فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قولوا له : الله مولانا ، ولا موليً لكم.

وانتهت الهزيمة بجماعة من المسلمين فيهم عثمان بن عفان وغيره إلي الأعوص (مكان) فأقاموا به ثلاثاً ثم أتوا النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال لهم حين رآهم : لقد ذهبتم فيها عريضةً. (1)

مقتل الحمزة بن عبد المطلب

كان حمزة بن عبد المطلب من أعظم أبطال العرب المسلمين وشجعانهم ، وكان قد قتل يوم بدر عتبة – أبا هند – كما قتل اخاها ، وكان يوم أحد كما كان

1- الطبري : 2 / 21.

يوم بدر أسد الله وأسد رسوله ، وسيف الله البتار ، يخوض وسط المشركين ، لا يدنو منه أحداً إلا بعجه بسيفه. قال ابن كثير في البداية : انه كان كالجمل الأورق (1) يهد الناس بسيفه هدّاً.

فأقبلت هند إلي غلام حبشي فتاك يدعي وحشي وأغرته بالمال علي أن يغتال أحد ثلاثة ! إما محمداً ، أو علياً ، أو حمزة. وكانت تقول كلما مرت بوحشي أو مرّ بها : إيه أبا دُسمة ! إشفي واشتفي.

فقال لها : أما محمد فلا حيلة لي به ! فقد أحدق به قومه كالحلقة. وأما علي فإنه إذا قاتل كان أحذر من الغراب ، وأما حمزة فإني أطمع أن أجيبه ، لأنه إذا غضب لم يعد يبصر ما بين يديه.

قال وحشي : إني والله لأنظر إلي حمزة وهو يهدّ الناس بسيفه هدّا ما يلقي أحداً به إلا قتله ، وقتل سباع بن عبد العزي. قال : فهززت حربتي ودفعتها عليه ، فوقعت في ثُنّتِه حتي خرجت من بين رجليه ، وأقبل نحوي فغُلِب ، فوقع. (2)

ولما علمت هند بمصرع حمزة ، لم تكتف بذلك ، بل أقبلت إليه فبقرت بطنه ، وجذبت بيديها كبده وقطعت منها قطعة ووضعتها في فمها وجعلت تلوكها بأسنانها ولكن لم تستطع أن تبتلعها. وقيل : أنها قطعت مذاكيره وأنفه وأذنيه ثم جعلت ذلك مسكتين ومعضدتين (3). حتي قدمت بذلك مكة ، وقدمت بكبده أيضاً معها (4). ولم يقف هذا الحقد الأعمي عند هند فقط بل تخطاها إلي زوجها ابي سفيان ، فإنه حين مر بحمزة طعنه في شدقه برأس الرمح وهو يقول : ذق عَقَقْ (5).

1- الجمل الأورق : ما في لونه بياض الي سواد.

2- الكامل 2 / 156.

3- المَسَكَة : السوار.

4- كما جاء في شرح النهج 15 / 12 والمغازي أيضاً بلفظ آخر.

5- الكامل 2 / 160 وغيره.

حزن النبي علي عمه حمزة

وبعد أن انتهت المعركة ، وتفرغ الناس لدفن القتلي ، قال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : من له علم بعمي حمزة ؟ فقال الحارث بن الصمّة : أنا أعرف موضعه يا رسول الله ! فجاء فوقف عليه فرآه بتلك الحالة التي تركته عليها هند ، فكره أن يرجع الي النبي ويخبره.

فالتفت رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلي علي ، وقال له : أطلب عمك الحمزة. وأقبل علي نحو عمه ، فلما وقف عليه كره أن يخبر النبي بحاله.

فخرج رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بنفسه حتي وقف عليه ، فلما رآه بتلك الحال بكي ، وقال : والله لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت موقفاً قط أغيظ علي من هذا الموقف (1).

قال ابن مسعود : ما رأينا رسول الله باكياً أشد من بكائه علي حمزة ، لقد وقف عليه وأنتحب حتي نشغ (2) من البكاء وهو يقول :

يا عم رسول الله ، وأسد الله وأسد رسوله ، يا حمزة ، يا فاعل الخيرات ! يا حمزة ، يا كاشف الكربات ، يا حمزة ، يا ذاب عن وجه رسول الله ، وطال بكائه (3).

ثم ألقي عليه بردةً كانت عليه ، وكانت إذا مدها علي رأسه بدت رجلاه ، وإذا مدّها علي رجليه بدا رأسه ، فمدها علي رأسه وألقي علي رجليه الحشيش. ثم قال : لولا اني أخاف أن تراه صفيّة بتلك الحالة فتجزع ، ويصبح ذلك سُنّةً من بعدي ، لتركته يحشر من أجواف السباع ، وحواصل الطير. ولئن أظهرني الله علي قريش لأمثلن بثلاثين من رجالهم ! وفي رواية :

1- سيرة المصطفي / 427.

2- نشغ : شهق حتي كاد أن يغشي عليه.

3- ذخائر العقبي 181.

بسبعين من خيارهم.

وقال المسلمون – لما سمعوا ذلك – : لنمثلن بهم مُثلةً لم يُمثلها أحد من العرب ! فانزل الله تعالي هذه الآية : (وإن عَاقبتُم فعَاقِبُوا بمِثلِ ما عُوقِبتُم ولئِن صبَرتُم لُهوَ خيرٌ للصابِرين). فعفي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وصبر ونهي عن المثلة. (1)

وأقبلت صفية بنت عبد المطلب – أخت حمزة – فالتقت بعلي (عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقال لها : إرجعي يا عمة ؛ فإن في الناس تكشفا !

فقالت له : أخبرني عن رسول الله ؟! قال : إنه بخير. فقالت دلني عليه ، فأشار إليه إشارةً خفيفة ، فاتجهت صفية نحوه ، ولما طلعت عليه قال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) للزبير : يا زبير ؛ أغني عني أمك.

في هذه الحالة كان المسلمون يحفرون لحمزة ، وكان النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كارهاً لأن تراه علي هذه الحال ، فلقيها الزبير فأعلمها بأمر النبي ، فقالت : إنه بلغني أنه مُثل بأخي ؛ وذلك في الله قليل ! فما أرضانا بما كان في ذلك ؛ لأحتسبنّ ولأصبرن !

فاعلم الزبير النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بذلك ، فقال : خلّ سبيلها. فأتته حتي جلست عنده.

وفي رواية : أنها أقبلت حتي جلست عنده ، فجعلت تبكي والنبي يبكي لبكائها ، وكان معها فاطمة سيدة النساء ، ثم قال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لصفية وفاطمة : أبشرا ! فإن جبرئيل أخبرني أن حَمزة مكتوب في أهل السموات : أسد الله وأسد رسوله.

ثم إن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كان كلما أتي بشهيد ليصلي عليه ، ضمّ إليه الحمزة

1- سيرة المصطفي 427.

وصلي عليهما ! (1)

ولما عاد النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) راجعاً إلي المدينة ، مر في طريقه علي بني حارثة ، وبني عبد الأشهل وهم يبكون قتلاهم ، فقال : (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لكن حمزة لا بواكي له !! (2) فأخذت هذه الكلمة الحزينة مأخذاً من نفوس بعض الصحابة وتركت أثراً عميقاً في قلوبهم ، فمضي سعد بن معاذ مع رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلي بيته ، ثم رجع الي نسائه فساقهُن فلم تبق إمرأة إلا جاء بها إلي بيت رسول الله ، يبكين بين المغرب والعشاء !!

وقام رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بعد أن مضي من الليل الثلث ، فسمع البكاء ، فقال : ما هذا !؟

قيل : نساء الأنصار يبكين علي حمزة !

فقال : رضي الله عنكن وعن أولادكن ، وأمر النساء أن يرجعن إلي منازلهن.

قالت أم سعد : فرجعنا إلي بيوتنا بعد ثلث الليل ومعنا رجالنا ، فما بكت منا أمرأةٌ قط إلا بدأت بالحمزة ! (3)

أبطال خالدون

وفي هذه المعركة ، أبدي بعض المسلمين بطولات خارقة تفوق حد الوصف ، كما أبدي البعض الآخر خوفه وجبنه وارتيابه ! فكأن هذه الحرب كانت محكاً لأختبار مدي الإيمان واعتماله في نفوس المسلمين ، ومدي عمق

1- راجع شرح النهج 15 / ص 16 - 17 والمستدرك علي الصحيحين 3 / 194 والكامل 2 / 163.

2- الكامل 2 / 163.

3- شرح النهج 15 / 42 إلي يومنا هذا. (تتمة الرواية).

التزامهم بـأوامر الرسول الكريم (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) واتبـاع رأيه. فكشـفت لنـا حقيقـة الأمر ، فأفرزت أبطالاً اشـداء مؤمنين بالله ورسوله تعاقدوا علي الموت دفاعاً عن الرسول والرسالة ، أمثال أمير المؤمنين علي وعمه الحمزة 8 ، وأمثال مصعب بن عمير الذي استشهد دون لواء الإسلام ، وأبي دجانة الأنصاري وغيرهم رضوان الله عليهم.

كما أفرزت لنا هياكل خاوية انطوت علي نفوس متزلزلة وقلوب ضـعيفة ونوايا كاذبة ، نرأ بأنفسـنا أن نذكر اسـماء بعضـهم هنا ، لأن ذلك لا يكون الا سبّة عار في تاريخنا الإسلامي.

وجميل بنا أن نذكر بعض أولئك الخالدين من أبطال الإسلام الذين استشهدوا يوم أحد ، فنشير إلي بعض مواقفهم الخالدة ، ومواقف أسرهم وذويهم. ولا ننسي هنا دور المرأة المسلمة في هذه الحرب ، أمثال سيدة النساء فاطمة ، والسيدة صفية بنت عبد المطلب ، والسيدة أم عمارة نسيبة بنت كعب رضي الله عنهم ، ونذكر الآن فيما يلي نبذاً من مواقفهم.

سعد بن الربيع

بعد أن انتهت المعركة ، قال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من ينظر إلي ما فعل سعد بن الربيع ؟

فقال رجل من الأنصار : أنا أنظر إليك – يا رسول الله – فـذهب يبحث عنه ، فوجـده بين القتلي ، وبه رمق ! فقال له : إن رسول الله أمرني أن أنظر له في الأحياء انت ام في الأموات !

قال سـعد : أنا في الأموات !! فأبلغ رسول الله عني السلام وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله خير ما جزي نبياً عن أمّته !. وأبلغ عني قومك السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لا عذر لكم عند الله – إن خَلُصَ إلي نبيكم – وفيكم عين تطرف !

ثم تنفس ، فخرج منه مثل دم الجزور ومات ، ;. فرجع الأنصاري الي النبي (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأخبره بحاله.

فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : رحم الله سعداً ، نصرنا حيّاً وأوصي بنا ميتا !. (1)

عمرو بن الجموح

ومن اولئك الخالدين ، عمرو بن الجموح.

وكان عمرو هـذا رجلاً أعرج ، وكان له بنون أربعـة مثل الأُسـد يشـهدون مع النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) المشاهد ، فلما كان يوم أحد وقد خرج بنوه الأربعة مع النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، أراد هو أن يخرج أيضاً ؛ فحبسه قومه ، وقالوا له : لقد ذهب بنوك مع النبي ؛ وأنت رجل أعرج ، ولا حرج عليك !

فقال : بخ !! يذهبون الي الجنة ، وأجلس أنا عندكم !؟

قالت زوجته – هنـد بنت عمرو بن حزام – : كأني أنظر إليه موليّاً قد أخذ دِرقَته ، وهو يقول : اللهم لا تردني إلي أهلي !. فخرج ، ولحقه بعض قومه يكلمونه في القعود ، فأبي وجاء الي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقال : يا رسول الله ، إن قومي يريدون أن يحبسوني عن هذا الوجه والخروج معك ، واني لأرجو الله أن أطأ بعرجتي هذه الجنة !!

فقال له النبي : أما أنت ، فقد عذرك الله ولا جهاد عليك ! فأبي.

فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لقومه وبنيه : لا عليكم أن تمنعوه ، لعل الله يرزقه الشهادة ! فخلوا عنه.

قال بعضـهم : لقد نظرت إلي عمرو بن الجموح حين انكشف المسـلمون عن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثم ثابوا ، وهو في الرعيل الأول ، لكأني أنظر إلي خلفه – وهو

1- سيرة المصطفي 426.

يعرج في مشيته – وهو يقول : أنا والله مشتاق إلي الجنة !! وابنه يعدو في أثره حتي قتلا جميعاً (1).

ولا ننسي هنا موقف زوجته السيدة هند بنت عمرو ، فإنها فقدت زوجها عَمراً وابنها خِلاد ، واخاها عبدالله ، وقد حملتهم جميعاً علي بعير لتدفنهم في المدينة.

فقيل لها : ما وراءك ؟

فقالت : أما رسول الله ، فهو بخير. وكل مصيبةٍ بعده جَلَل ؛ واتخذ الله من المؤمنين شهداء ! وبينما هي تسوق بعيرها وإذا به يبرك بهم ، فلما زجرته ، وقف ! فوجهته إلي المدينة ، فعاد وبرك ! فرجعت به إلي أحد ، فأسرع ، وكأنه لم يحمل شيئاً !!

فرجعت إلي النبي – وكان لا يزال في أحد – وأخبرته بما جري ! فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إنه لمأمور ! هل قال زوجك – حينما خرج – شيئاً ؟

قالت : نعم ، إنه لما توجه إلي أحد ، استقبل القبلة ، ثم قال : اللهم لا تردني إلي اهلي.

فقال لها (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إن منكم – يا معشر الأنصار – من لو أقسم علي الله ، لأبره ! منهم زوجك : عمرو بن الجموح. ثم دفنهم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وقال لهند : يا هند ، لقد ترافقوا في الجنة ثلاثتهم.

فقالت : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني معهم ، فدعا لها بالخير (2).

1- شرح النهج 14 / 161.

2- شرح النهج 14 / 262.

حنظلة بن أبي عامر « غسيل الملائكة »

كان أبوه يـدعي ب « أبو عامر الراهب » وكان مع المشـركين ، وقـد خرج إلي مكـة مباعداً لرسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ومعه خمسون غلاماً من الأوس ، فلما إلتقي الناس بأُحد ، كان أبو عامر أول من لقي المسلمين في الأحابيش وعبدان أهل مكة.

فنادي : يا معشر الأوس ؛ أنا أبو عامر !

قالوا : فلا أنعم الله بك عيناً ، يا فاسق. !!

فقال : لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ ! ثم قاتل المسلمين قتالاً شديداً حتي راضخهم بالحجارة .. (1)

أما حنظلـة « ابن ابي عامر » فقـد كان في صف النبي محمـد (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وكان حـديث عهـدٍ بالزواج فقد تزوج من جميلة بنت عبـدالله بن أبي سـلول ، فأُدخلت عليه في الليلـة التي كان في صبيحتها قتال أُحد. وكان قد إسـتأذن رسول الله أن يبيت عندها فأذن له ، فلما صلي الصـبح ، غدا يريد رسول الله ، فلزمته جميلة ، فعاد إليها فكان معها ، وخرج إلي رسول الله مسرعاً ، ولم يغتسل من جنابته ! – وكانت جميلة قبل خروجه قد أشـهدت عليه أربعة بأنه قد دخل بها ، فقيل لها بعد ذلك لما أشهدت عليه ؟! – فقالت : رأيت في الطيف كأن السماء قد انفجرت فدخل بها ، ثم أطبقت عليه ! فعلمت أنه سيقتل ، وقد حملت منه جميلة بعبد الله ابن حنظلة.

ولما استشـهد حنظلـة ، قال رسول الله (صَـلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إني رأيت الملائكـة تغسل حنظلـة ابن أبي عامر ، بين السـماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة !.

قال أبو أسيد الساعدي : فذهبنا ، فنظرنا إليه ، فإذا رأسه يقطر

1- الكامل 2 / 149 – 150.

ماءً فرجعت إلي رسول الله (صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأخبرته ، فأرسل إلي إمرأته فسألها ، فأخبرته انه خرج وهو جنب.

فقال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لذلك غسلته الملائكة.

وحنظلة هذا ، هو الوحيد الذي لم يمثِّل به المشركون ، لأن أباه نهاهم عن ذلك ، وقال : يا معشر قريش ؛ حنظلة لا يمثل به ، وان كان خالفني وخالفكم. (1)

السمداءُ بنتَ قيس

وهي إحدي نساء بني دينار ، قتل ولداها بأحد مع النبي ، وهما : النعمان بن عبد عمرو ، وسليم بن الحارث ، فلما نُعيا إليها ، قالت : ما فعل رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ؟ قالوا : بخير هو بحمد الله صالح علي ما تحبين. فقالت : أرونيه ، أنظر اليه ! فأشاروا لها إليه ، فقالت :

كل مصيبةٍ بعدك جَلَلٌ - يا رسول الله -.

وخرجت تسوق بابنيها بعيراً ، تردهما إلي المدينة ، فلقيتها عائشة ، فقالت لها : ما وراءك ؟ فأخبرتها. قالت : فمن هؤلاء معك ؟

قالت : إبناي - حِلْ ! حِلْ !! (2) - تحملهما الي القبر (3).

صفية بنت عبد المطلب

وقد ذكرنا عنها شيئاً حين وقوفها علي مصرع أخيها الحمزة.

ولها موقف بطولي آخر يوم أحد ، حيث قتلت رجلاً يهودياً في حين

1- راجع شرح النهج 14 / 269 - 271.

2- حِل حِل : زجر البعير ، وهو دليل علي عدم مبالاتها بمقتل ولديها لأنها مطمئنة أن مصيرهما إلي الجنة.

3- شرح النهج 15 / 37.

جبن أحد الرجال المسلمين عن قتله. فهي تحدثنا بذلك فتقول :

لقـد صـعدنا يوم أحـد علي الآطـام – رؤوس التلال – وكان معنا حسان بن ثابت وكان من أجبن الناس ! ونحن في فارع ، فجاء نفر من يهود يرومون الأطم ، فقلت : دونك يا بن الفُرَيعة – تعني حسانا – فقال : لا والله لا أسـتطيع القتال ، ويصعد يهودي إلي الأطم فقلت : شدَّ علي يدي السيف ، ففعل فضربت عنق اليهودي ورميت برأسه إليهم ، فلما رأوه إنكشفوا ! (1)

مخيرق

قال الواقدي : وكان مخيرق اليهودي من أحبار اليهود فقال يوم السـبت – ورسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في احد – يا معشر يهود ، والله إنكم لتعلمون أن محمداً نبي ، وان نصره عليكم حق.

فقالوا : ويحك ! اليوم يوم السبت ، فقال : لا سبْت ، ثم أخذ سلاحه وحضر مع النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فأصيب ، فقال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : مخيرق خير يهود.

وكان مخيرق قال حين خرج إلي أُحد : إن أصبتُ ، فأموالي لمحمّد يضعها حيث أراه الله فيه (2).

نسيبة بنت كعب

وتكني أم عمارة ، وهي من اللواتي شهدن أحداً مع رسول الله وأبلين بلاءً حسناً.

وكانت هـذه المرأة البطلـة قد خرجت في أول النهار ومعها شن تريد أن تسـقي الجرحي ، فقاتلت يومئذٍ وأبلت بلاءً حسـناً ، وجُرحت اثني عشر جرحاً

1- المصدر السابق 15 / 15 و 16.

2- نفس المصدر 14 / 260.

بين طعنة برمح وضربةٍ بسيف.

وقد طلبت أم سعد منها أن تروي لها ما جري عليها في أحد ، فقالت : خرجت أول النهار إلي أُحد وأنا أنظر ما يصنع الناس ، ومعي سقاء فيه ماء ، فانتهيت إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في الصحابة والدُوَلَة للمسلمين ، فلما انهزم المسلمون ، إنحزت إلي رسول فجعلت أباشر القتال ، وأذب عن رسول الله بالسيف وأرمي بالقوس ، حتي أصابتني الجراحات.

تقول أم سعد : فرأيت علي عاتقها جرحاً أجوف له غور ، فقلت : يا أم عمارة ، من أصابك بهذا الجرح ؟

قالت : لقد أقبل أبن قمئة – وقد ولي الناس عن رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) – وهو يصيح : دلوني علي محمد لا نجوت إن نجا ! فاعترضه مصعب بن عمير وناس معه كنت فيهم ، فضربني هذه الضربة ، ولقد ضربته ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان. (1)

وهذه المرأة ، هي التي أعطاها النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وسام شرفٍ حين قال : « لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من مقام فلان وفلان ». (2)

لقد وقف أولئك الأبطال الأشاوس أعظم موقف في سبيل الدفاع عن الحق وعن العقيدة ، فسطروا بدمائهم أروع ملحمةٍ تاريخية كان رائدهم فيها الصدق والإخلاص ، صدق الإيمان وصدق العقيدة ، والإخلاص فيما عاهدوا الله عليه ، وقد بلغ عدد الذين استشهدوا من المسلمين نحواً من سبعين رجلاً.

أما الذين ثبتوا مع رسول الله في ساعة العسرة فإنهم لم يتجاوزوا السبعة نفر فإن جمهور المؤرخين يروي : انه لم يبق مع النبي(صلي الله عليه و آله) إلا علي

1- شرح النهج 14 / 266.
2- شرح النهج 5 / 54.

عليه السلام وطلحة والزبير وأبو دجانة ، وقد روي عن ابن عباس أنه قال : ولهم خامس وهو عبدالله بن مسعود ، ومنهم من أثبت لهم سادساً ، وهو : المقداد بن عمرو (1).

ولما رجع النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إلي المدينة إستقبلته فاطمة (2) ومعها إناءٌ فيه ماء فغسل وجهه الكريم ، ثم لحقه أمير المؤمنين علي وقد خضب الدم يده إلي كتفه ومعه ذو الفقار ، فناوله فاطمة ، وقال : خذي هذا السيف ، فلقد صدقني هذا اليوم ، وأنشد :

أفاطم هاك السيف غير ذميم * فلست برعديد ولا بلئيم

لعمري لقد أعذرت في نصر أحمد * وطاعة ربٍ بالعباد عليم

اميطي دماء القوم عنه فإنه * سقي آل عبد الدار كاس حميم

وقال لها رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لقد أدي بعلك ما عليه ، وقتل الله بسيفه صناديد قريش (3).

1- البحار 20 / 141.

2- لا يمنع أن تكون فاطمة قد حضرت أحداً ثم سبقت رسول الله الي المدينة.

3- سيرة المصطفي / 430 ورواه في فرائد السمطين قريباً من ذلك 1 / 252 وفي شرح النهج ايضاً 15 / 35.

غزوة الغابة

* غزوة الغابة(1)

الغابة : موضع قرب المدينة من ناحية الشام ، فيه شـجر كثيف ومرعيّ خصب للإبل ، وكان للنبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عشرون لقحة (2) ترعي في مكان يقال له : البيضاء. (3) فلما أجدب قربوها للغابة تصيب من أثلها وطرفائها. فكان الراعي يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب.

وفي ذات يوم استأذن أبو ذر رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن يذهب إلي تلك الإبل ليحتلبها ويغدو بلبنها إليه ، فقال له (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : اني اخاف عليك من هذه الضاحية أن تغير عليك – ونحن لا نأمن من عيينة بن حصن وذويه ! هي في طرف من أطرافهم.

فألح عليه أبو ذر فقال : يا رسول الله إإذن لي.

فلما ألح عليه قال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : لكاني بك قد قتل إبنك ، وأخذت إمرأتك ، وجئت تتوكأ علي عصاك (4).

يقول ابو ذر : والله انا لفي منزلنا ، ولقاح رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قد

1- وقعت في السنة السادسة للهجرة ، وتسمي أيضاً : غزوة ذي قرد.

2- * اللقحة : الواحدة من الإبل الحامل ، ذات اللبن ، جمعها : لقاح.

3- * البيضاء : موضع تلقاء حمي الربذة.

4- * وكـان أبو ذر يقول في ذلك : عجباً لي ! إن رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يقول « لكأني بك » وأنا ألـح عليه ، فكان والله علي ما قال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ).

رُوِّحت ، وعطنت وحلبت عتمتها (1) ونمنا ، فلما كان الليل أحدق بنا عُيينة في أربعين فارساً ، فصاحوا بنا وهم قيام علي رؤوسنا فأشرف لهم ابني فقتلوه ، وكانت معه إمرأته وثلاثة نفر فنجوا ، وتنحيت عنهم ، وشغلهم عني إطلاق عُقل اللقاح ، ثم صاحوا في أدبارها فكان آخر العهد بها. ونترك لأبي معبد يكمل القصة :

قال المقداد بن عمرو : لما كانت ليلة السَّرح ، جعلت فرسي سبحة لا تقر ضرباً بأيديها وصهيلاً ، فيقول أبو معبد (2) : والله إن لها شأناً ! فننظر آريَّها (3) فإذا هو مملؤ علفاً ! فيقول : عطشي ! فيعرض الماء عليها فلا تريده ، فلما طلع الفجر اسرجها ولبس سلاحه ، وخرج حتي صلي الصبح مع رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فلم يرَ شيئاً ، ودخل النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بيته ، ورجع المقداد إلي بيته ، وفرسه لا تقر ، فوضع سرجها وسلاحه واضطجع ، وجعل إحدي رجليه علي الأخري ، فأتاه آتٍ فقال : إن الخيل قد صيح بها.

وكان سلمة بن الأكوع قد غدا قاصداً الغابة ليأتي بلبن اللقاح إلي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فلقي غلاماً في ابل لعبد الرحمن بن عوف ، فأخبره أن عيينة بن حصن قد اغار في اربعين فارساً علي لقاح رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وأنه قد رأي مدداً بعد ذلك أمد به عيينة.

قال سلمة : فاحضرت فرسي راجعاً إلي المدينة حتي وافيت علي ثنية الوداع (4) فصرخت بأعلي صوتي : يا صباحاه ! ثلاثاً ، أسمِعُ من بين

1- العتمة : ظلمة الليل ، وكانت العرب تسمي الحلاب باسم الوقت.

2- هو نفسه المقداد ، وهنا انتقل بحديثه من صيغة المتكلم الي الغائب مبالغةً في الأهمية.

3- الآري : حبل تشد به الدابة في محبسها.

4- ثنية الوداع : عن يمين المدينة ودونها ، وهي ثنية مشرفة علي المدينة يطؤها من يريد مكة.

لابَتْيها. (1)

ثم نادي : الفَزَع ! الفَزَع ! ثلاثاً (2) ثم وقف واقفاً علي فرسه حتي طلع رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في الحديد مُقَنّعاً فوقف واقفاً. فكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو ، عليه الدرع والمغفر شاهراً سيفه. فعقد له رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لواءً في رمحه ، وقال :

امضِ حتي تلحقك الخيول ، ونحن علي أثَرِك.

قال المقداد : فخرجت وأنا أسال الله الشهادة حتي أدرك اخريات العدو ، وقد أذمَّ (3) بهم فرس لهم فاقتحم فارسه وردف أحد أصحابه ، فأخذُ الفرس المذّم فإذا هو ضَرع (4) أشقر ، عتيق ، لم يقوَ علي العدو ، وقد غدوا عليه من أقصي الغابة فحسِر (5) فأربط في عنقه قطعة وترٍ وأخليّه ، وقلت : إن مرَّ به أحد فأخذه جئته بعلامتي فيه ، فأدرك مسعدةَ فأطعنه برمح فيه اللواء ، فزلَّ الرمح وعطف علي بوجهه فطعنني ، وآخذُ المرحَ بعضدي فكسرته ، وأعجزني هرباً ، وأنصبُ لوائي ، فقلت : يراه أصحابي ! ويلحقني أبو قتادة معلماً بعمامةٍ صفراء علي فرس له ، فسايرته ساعةً ونحن ننظر إلي دبر (6) مسعدة فاستحث فرسه ، يعني أبو قتادة – فتقدم علي فرسي ، فبان سبقه ، فكان أجود من فرسي حتي غاب عني فلا أراه. ثم ألحقه فإذا هو ينزع بردته ، فصحت : ما تصنع ؟ قال : خيراً ، أصنعُ كما

1- يا صباحاه : كلمة كان العرب يستعملونها لإستنفار الناس فيما إذا دهمتهم غارةٌ. و « لابتيها » كناية عن انه اسمع جميع من في المدينة.

2- في السيرة النبوية : وبلغ رسول الله صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة : الفزع ! الفزع إلخ (3 – 76) وأظنه أشتباه ، لأن مثل هذا بعيد علي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ).

3- أذّم : أعيي وتأخر.

4- الضرع : الضعيف.

5- حسرْ : تعب وأعيا.

6- الدبر : من الأدبار وهو الهرب.

صنعت بالفرس. فإذا هو قد قتل مسعدة وسجاه ببردِه.

ورجعنا ، فإذا فرس في يد عُلبةَ بن زيد الحارثي ، فقلت : فرسي هذا ، وعلامتي فيه !

فقال : تعال إلي النبي ، فجعله مغنماً.

وخرج سلمة بن الأكوع علي رجليه يعدو ليسبق الخيل مثل السبع.

قال سلمة : حتي لحقت القوم ، فجعلت أرميهم بالنبل واقول حين أرمي : خذها مني وأنا ابن الأكوع ، فتكر علي خيل من خيلهم ، فإذا وجَّهت نحوي انطلقت هارباً فاسبقها واعمد إلي المكان المعور (1) فاشرف عليه وأرمي بالنبل إذا امكنني الرمي وأقول :

خذها ، وأنا ابن الأكوع * واليوم يوم الرُّضع

فما زلت أكافحهم وأقول : قفوا قليلاً يلحقكم أربابكم من المهاجرين والأنصار ، فيزدادون علي حنقاً فيكرون علي ، فاعجزهم هرباً حتي انتهيت بهم إلي ذي قَرَد (2).

ولحِقَنَا رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) والخيول عشاءً ، فقلت : يا رسول الله ، إن القوم عطاش وليس لهم ماءٌ دون أحساء كذا وكذا (3) فلو بعثتني في مائة رجل ، استنقذت ما بأيديهم من السرح ، وأخذت باعناق القوم.

فقال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : ملكت ، فأسجح (4) ، ثم قال النبي

1- * المعور : المكمن للستر.

2- * ذي قرد : مكان يبعد عن المدينة مسيرة يوم وقيل يومين.

3- * دون أحساء كذا وكذا : أي دون بلوغهم مكان كذا وكذا.

4- * ملكت فاسجح : أي قدرت ، فسهل ، وأحسن العفو. وهو مثل معروف.

(صَلّي اَللّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إنهم ليُقرَونَ في غطفان (1).

قال : ثم توافت الخيل وهم ثمانية : المقداد وأبو قَتَادة ، ومُعاذ بن ماعِص وسعد بن زيد ، وأبو عيَّاش الزُرَقي ، ومُحرِز بن نَضلَة ، وعُكاشة بن مِحصَن ، وربيعة بن أكثَم.

ولم تزل الأمداد تتري ، حتي إنتهوا إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بذي قرد ، فاستنقذوا عشر لقائح ، وافلت القوم بما بقي ، وهي عشر.

وقتل في هذه المعركة من المسلمين واحد ، وهو محرز بن نضلة. قتله مسعدة.

وقتل من المغيرين خمسة مسعدة بن حكمة ، قتله أبو قتادة ، وأوثار وابنه عمرو بن أوثار ، قتلهما عكاشة بن محصن ، وحبيب بن عيينة كان علي فرس له ، قتله المقداد بن عمرو ، وكذلك فَرقَة بن مالك قتله المقداد أيضاً.

وكان مما قيل من الشعر في هذه الغزوة ، قول حسان بن ثابت.

لولا الذي لاقت ومسَّ نسورها * بجنوب ساية أمس ف-ي التقواد (2)

للقينكم يحملن كل مدجَّج * حامي الحقيقة ماجد الأجداد (3)

ولسر أولاد اللقيطة أننا * سلم غداة فوارس المقداد (4)

كنا ثمانيةً وكانوا جَحفلاً * لجباً فشكوا بالرماح بداد (5)

1- يقرَون : يُضيفون.

2- ساية : اسم وادٍ بالحجاز.

3- الحقيقة : ما يحق عليك أن تحميه.

4- وقد اعترض سعيد بن زيد علي حسان حيث جعل المقداد هو القائد - وسعيد هذا أنصاري - والمقداد مهاجري ، فاعتذر إليه حسان. راجع السيرة 3 / 180 والمغازي / 548.

5- اللجب : الجلبة والصياح. وبداد : يقال جاءت الخيل بَدادِ بَدادِ أي متفرقة.

كنا من القوم الذين يلونهم * وَيُقدمون عِنان كلِ جوادِ

كلا ورب الراقصات إلي منيً * يقطعن عرض مخارم الأطواد (1)

حتي نبيل الخيل في عرصاتكم * ونؤوب بالملكات والأولاد (2)

رهواً بكل مقلصٍ وطمرة * في كل معترك عطفن روادي (3)

أفني دوابرها ولاح متونها * يوم تقاد به ويوم طِرادِ

فكذاك إن جيادنا ملبونة * والحرب مشعلة بريح غواد (4)

وسيوفنا بيض الحدائد تجتلي * جُنَنَ الحديد وهامةَ المرتادِ(5)

1- الراقصات : يقصد بها الإبل. ومخارم الأطواد : شقوق الجبال ، ويقصد بها الطرق.

2- نبيل الخيل : نجعلها تبول في دياركم.

3- الرهو : المشي الهادئ. المقلَّص : المشمر. والطِّمرة : الفرس الجواد. وروادي : سريعة.

4- ملبونة : الملبون : من به كالسِّكر من شرب اللبن. وغواد : من الغادية وهي السحابة.

5- تجتلي : تقطع. جنن الحديد : ما ستره الحديد ، أو المقصود به الترس خاصة. راجع المغازي للواقدي من صفحة 537 إلي 549 للتفصيل ، وكذا السيرة لإبن هشام 3 / 175 الي 181 والكامل 2 / 188 - 190.

غزوة خيبر

غزوة خيبر(1)

وقد وقعت في السنة السادسة للهجرة أيضاً. وذلك :

إن النبي(صلي الله عليه و آله) كان قد قصد مكة في أوائل شهر ذي القعدة من نفس هذه السنة لأداء مناسك الحج ، فصدته قريش عن دخولها ، فكان أن أبرمت وثيقة الصلح المسمي بصلح « الحديبية » بعد مشاورات طويلة بين وفود الطرفين.

ورجع النبي إلي المدينة ، وفي طريقه أنزل الله عليه سورة الفتح ، فتلاها علي المسلمين مستبشراً بالنصر.

وكان(صلي الله عليه و آله) قد إطمأن بعد صلح الحديبية إلي حدّ ما من ناحية قريش والعرب الذين كانوا لا يزالون علي الشرك ، إلا إنه ظل يراقب اليهود الذين كانوا خارج المدينة ، ويخشي غدرهم لأنه لمس منهم انهم لا يلتزمون بعهدٍ ولا بحلف ، لذلك صمم علي غزوهم ومحاربتهم ، فلم يلبث في المدينة اكثر من شهر حتي أعلن رأيه هذا لأصحابه ، وأمرهم ان يتجهزوا لغزو خيبر.

1- قال في معجم البلدان : وتشتمل خيبر - هذه الولاية - علي سبعة حصون ، ومزارع ، ونخل كثير. واسماء حصونها : حصن ناعم. وعنده قتل محمود بن مسلمة ، والقموص ، وحصن الشق ، وحصن النطاة. وحصن السلالم وحصن الوطيح ، وحصن الكتيبة ، وأما لفظ خيبر ، فهو بلسان اليهود : يعني الحصن. ولكون هذه البقعة تشتمل علي هذه الحصون سميت خيابر 2 / 409.

فخرج من المدينـة في ألف وسـتمائة مقاتل ، ومضـي في طريقه الي خيبر ، وقطع المسافة التي بينها وبين المدينة في ثلاثة أيام ، ودخل إلي مشارفهـا ليلاً ، وكانت خيبر تترائ للمسـلمين واحـةً تمتـد بين تلال الحرّة وصـخورها السوداء ، وكأنها بحيرة من الزمرد الأخضـر .. وأقام المسـلمون تلك الليلة علي مشارفها مخيمين هناك يستريحون من عناء الرحلة ، حتي إذا تمطي الليل عن الصـبح ، وانتشرت أشعة الشمس المشـرقة تكسو آعـالي النخيـل بلون ذهبي جميـل ، انتشـر عمال خيبر – كعادتهم – خارجين من قلاعهم الي بساتينهم يحملون محافرهم وفؤوسـهم ، وقد علقوا السـلال باكتافهم ، فبصروا بجند المسلمين الآتين من الحرّة ، ومعهم الرماح والسيوف المتوهجة في أشعة الشمس ، فصاحوا : « محمد ، والخميس (1) معه ! » وأدبروا هاربين مخلفين المحافر ، والفؤوس والسلال.

فقال النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : « الله اكبر ؛ خربت خيبر ؛ إنا إذا نزلنا بساحةِ قوم فساءَ صباح المنذرين. ».

ووقف العرب عامة ، وبخاصة قريش ، يتطلعون بشوق ولهفة إلي نتائج هذه الغزوة ، وفي حسابهم أن الدائرة ستدور علي محمد وأصحابه.

أمـا اليهود ، فقـد تشاوروا فيما بينهم ، واتفقوا أخيراً علي القتال ، فأدخلوا نساءهم وذراريهم وأموالهم حصن « الوطيـح والسـلالـم » وأدخلوا ذخـائرهم حصن « ناعم » ودخلت المقاتلـة في حصن « نطاة » والتقي الجمعان حول هـذا الحصن ، واقتتلوا قتالاً شديـداً حتي جرح عـدد كبير من المسلمين ، واستبسل الفريقان ، وظلوا علي ذلك شطراً من النهار.

1- الخميس : الجيش.

وقتل في ذلك اليوم محمود بن مسلمة ، كان حين أنهكه التعب قد استظل بجدار الحصن فالقي عليه يهودي رحي من أعلي الحصن فقتله.

وأظهرت قلاع « النطاة » وناعم صموداً أمام معسكر المسلمين ما لبث أن إنهار بعد أيام أمام ضرباتهم واصرارهم العنيد ، ولكن خيبر لم تفتح ، فقد بقي من قلاعها قلعة « القموص » وهي أهم قلاعها ، كانت قائمة علي قمة تل صخري أملس رأسي الحواف ، محاطة بجدار ضخم مرتفع ، وقد اشتهرت بالقوة والمناعة ، وكان يدافع عنها « مرحب » البطل الشهير.

وطال الحصار ، ودبت المجاعة بالجيش ، ففترت همة الجند ، وكان النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كلما أعطي الراية لبعض أصحابه يرجع منهزماً كاسفاً. فرأي النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أن يحشد كل قواه الضاربة لفتح هذا الحصن ، فاجتماع اليهود فيه يجعلهم أقدر علي الفتك بالمسلمين.

وجمع محمد جيشه ، وأمرهم أن يقتحموا الحصن ، وسلم أبا بكر راية الجيش ، ولكن أبا بكر لم يستطع أن يصنع شيئاً ولا أن يقتحم الحصن ، فبعث في اليوم الثاني عمر ابن الخطاب ، فكان نصيبه كنصيب صاحبه. « فقد انكشف عمر وأصحابه ورجعوا إلي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كما في رواية الطبري : يجبنه أصحابه ويجبنهم » وظل القتال مستمراً وكلما أعطي الراية إلي أحد ، رجع خائباً ، أو فاراً. (1)

ولما بلغ الجهد بالمسلمين مبلغاً تخشي عواقبه وساء رسول الله ذلك. فقال : لأعطين الراية غداً رجلاً ، كرّاراً غير فرّاراً ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ولا يرجع حتي يفتح الله علي يده » (2) فتطاولت لها

1- راجع سيرة المصطفي / 549.

2- إعلام الوري / 107 وغيره.

قريش ، ورجا كل واحد منهم أن يكون صاحب الراية وكان علي في تلك الحال أرمد لا يكاد يبصر أمامه ، ولما سمع مقالة النبي(صلي الله عليه و آله) قال : اللهم لا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ».

فأصبح رسول الله واجتمع إليه الناس كل يرجوها له ، حتي روي عن عمر أنه قال : إني ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم ، وتمنيت أن أعطي الراية بعد أن سمعت ذلك من رسول الله.

قال سعد بن أبي وقاص : جلست نصب عينيه ، ثم جثوت علي ركبتي ثم قمت علي رجلي قائماً رجاء أن يدعوني ! فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إدعوا لي عليّاً. فصاح الناس من كل جانب : إنه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه. فقال : إرسلوا إليه وادعوه ! فأتي به يُقاد. فوضع رأسه علي فخذه ، ثم تفل في عينيه ، فقام وكأن عينيه جزعتان. وبرء من ساعته ، وقال له : خذ الراية ، ولا تلتفت حتي يفتح الله عليك.

فقال له عليّ : علي ماذا أقاتلهم يا رسول الله.

قال : قاتلهم حتي يشهدوا أن لا إله إلاّ الله ، وأني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم. ثم دعا له.

قال سلمة بن الأكوع ، فانطلق عليّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يهرول هرولةً ونحن خلفه نتتبع أثره ، حتي ركز الراية بين حجارة مجتمعة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودي من أعلي الحصن وقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب. قال اليهودي : « عَلوتم ! وما أنزل علي موسي !! » (1) وخرج إليه اليهود يتقدمهم أبطالهم ، وفيهم الحارث أخو

1- وفي الكامل 2 / 220 : فاشرف عليه رجل من يهود فقال : من أنت ؟ قال : أنا علي بن أبي طالب. فقال اليهودي غُلبتم يا معشر اليهود. وفي بقية المصادر والمراجع بمضمون واحد. وقوله : وما انزل علي موسي : أي قسماً بما أنزل علي موسي.

مرحب وكان من شـجعانهم المعروفين ، فحمل بمن معه علي المسـلمين ، فوثب علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وضـربه بسـيفه ، فخر صـريعاً ، ثم كر بأصحابه علي اليهود ، فتفرقوا بين يديه وانخذلوا بعد مقتل الحارث وجماعة منهم ، وولوا منهزمين الي داخل الحصن.

فاسـتعظم ذلك قائدهم « مرحب » بعد أن شـهد مصـرع أخيه وهزيمة من معه. فخرج يطلب الثأر « وكان هو حقاً سيد فرسان خيبر ، ولكنه خرج إلي علي بطيئـاً ، في كبريـاءٍ وثقـةٍ مطمئنـة ، مهيباً ضـخماً ، بيـده حربـة ذات ثلاث رؤوس ، وكل جسـده الفارع الشاهق ، في الزرد ، والحديد يغطي رأسه وساقيه ، وليس في كل بدنه ثغرة ينفذ منها سيف ». فجعل يرتجز ويقول :

قد علمت خيبر أني مرحب * شاكي السلاح بطل مجرب

إذا السيوف أقبلت تلتهب * أطعن أحياناً وحيناً أضرب

يقول :

أنا الذي سمتني أمي حيدرة * كليث غابات شديد قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

وتقـدم إليه علي بقامته المعتدلـة ، وهو بلا درع ، وفي يـده السـيف وحده ، وتوقع المسـلمون واليهود جميعاً أنها نهاية علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، ولكن علياً إستطاع أن يحسن الإستفادة من تخففه من الدرع والزرد ، وترك مرحباً يتقدم بدرعه وزرده وحربته ، حتي إذا أوشك سِن الحربة أن يمس صـدر علي(عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) تراجـع علي فجـأةً ثم قفز في الهـواء متفاديـاً حربـة مرحب ، ثم إقتحم وأهوي بكـل قوته علي رأس مرحب بالسيف ، فانفلق الحديد من علي رأس مرحب ، وسقط سيف علي علي الجمجمة

فشقها نصفين وهوي مرحب وسط ذعر اليهود وعجبهم ، وصيحات النصر ترتفع من معسكر المسلمين.

ثم إقتلع علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) باب الحصن - وكان حجراً طوله أربعة أذرع في عرض ذراعين في سمك ذراع - فرمي به الي خلفه ، ودخل الحصن هو والمسلمون. (1)

وبعد فتح حصن « القموص ». أيقن سكان خيبر بالهلكة ، وكانت قلاع « الوطيح والسلالم » لم تسقط بعد ، فأرسلوا الي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يطلبون الصلح - بعد أن حاز النبي أموالهم كلها بالشق ونطاة ، والكتيبة. - علي أن يحقن دماءهم. فقبل النبي بذلك ، وأبقاهم علي أرضهم التي آلت له بحكم الفتح علي أن يكون لهم نصف ثمرها مقابل عملهم.

وقسم رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أموال خيبر ونتاجها الزراعي علي المسلمين. « فأطعم كل إمرأةٍ من نسائه ثمانين وسقاً (2) من تمر وعشرين وسقاً شعيراً. وللعباس بن عبد المطلب مائتي وسق ، ولفاطمة وعلي 8 من الشعير والتمر ثلاثمائة وسق ... وللمقداد بن عمرو خمسة عشر وسقاً شعيراً. » (3)

وفي السيرة لإبن هشام : قسم لنسائه من القمح مائة وثمانين وسقاً ، ولفاطمة بنت رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) خمسة وثمانين وسقاً ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقاً ، ولمقداد بن عمرو خمسة عشر وسقاً ولأم رميثة خمسة أوسق. (4)

1- اليعقوبي 2 / 56 وغيره.

2- الوسق : ستون صاعاً أو حمل البعير.

3- الواقدي : 693.

4- السيرة النبوية لإبن هشام 3 / 229.

قال الواقدي : وحدثني موسي بن يعقوب ، عن عمته ، عن أمها ، قالت :

بعنا طعمة المقداد بن عمرو من خيبر « خمسة عشر وسقاً شعيراً » من معاوية ابن أبي سفيان بمائة ألف درهم. (1)

ص: 121

1- المغازي / 694.

زوجته وأولاده

اشارة

* موقف الإسلام من الزواج.

* قصة : جويبر ، وجُلبيب ، وتزويجهما.

* تزويج المقداد.

* بين الأشعث بن قيس والإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ).

ص: 123

موقف الإسلام من الزواج

كانت مشكلة الشعور بالتفوق العرقي لدي العرب تحول دون شد الأواصر فيما بينهم فضلاً عن تثبيتها بينهم وبين القوميات الأخري ، فكان العربي الذي ينتمي الي قبيلةٍ ما ، يأنف من تزويج كريمته إلي عربي آخر من جنسه ينتمي إلي قبيلةٍ أخري يراها دونه في الحسب والنسب والمحتد ، فضلاً عن أن يزوجها إلي رجل حليف ، أو غير عربي ، فإنه يري في ذلك مجلبةً للمهانة عليه ، بل ومدعاة للصغار والذلة بين القبائل الآخري.

فكانوا يطلقون علي سلالة العربي إذا تزوج من غير العرب : الهجناء ! ولم تكن هذه المشكلة الإنسانية قائمة لدي المجتمع العربي فقط ، بل عند الفرس أيضاً ، وما ذلك إلا إمعاناً في الغيّ. وتجريحاً في نقاء الإنسانية.

فكانت العرب في الجاهلية لا تُورث الهجين ، كما كانت الفُرسُ تطرحه ولا تعده ، ولو وجدوا له أمّا أمةً علي رأس ثلاثين أمّاً حرة ، ما أفلح عندهم ! (1) فالمأساة إذن كانت عامة وغير مختصة بالعرب.(2)

1- راجع العقد الفريد 6 / 130.

2- كانت بنو أمية لا تستخلف بني الإماء .. وكانوا يتحرون أن يكون من تقلد الخلافة منهم من أم عربيةٍ ، وكان أبو سعيد مسلمة بن عبد الملك من رجالهم المعدودين ، إلا أن كونه ابن أمة حال بينه وبين الخلافة. وعرض مسلمة علي عَمرَة بنت الحارس أن يتزوج منها ، فقالت : يا بن التي تعلم ! وانك لهناك ؟ تعني أن امه أمة. (بلاغات النساء – 190) وسابق عبد الملك بين مسلمة وأخيه سليمان ، فسبق سليمان ، فقال عبد الملك : ألم أنهكم ان تحملوا هجناءكم علي خيلكم يوم الرهان فتدركُ وما يستوي المرآن هذا بن حرة وهذا بن أخري ظهرها متشركُ فأجابه ابنه مسلمة بقول حاتم الطائي : وما انكحونا طائعين بناتهم ولكن خطبناها بأسيافنا قسرا فما زادها فينا السباء مذلةً ولا كُلّفت خبزاً ولا طبخت قدراً ولكن خلطناها بخير نساءنا فجاءت بهم بيضاً وجوههم زهرا .. الأبيات / العقد الفريد 6 / 130. ولما تنقص هشام بن عبد الملك ، الإمام زيد بن علي بن الحسين : ، لم يجد ما يعيره فيه إلا قوله : أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة ، وأنت ابن أمة (مروج الذهب 2 / 162) ثم أختلف الحال في آخر أيام الأمويين ، فإن آخر من تقلد الخلافة منهم ابراهيم بن الوليد ، ومروان بن محمد ، كانا من أبناء الإماء (خلاصة الذهب المسبوك 46 و 47). أما الخلفاء في الدولة العباسية ، وعددهم سبعة وثلاثون ، فلم يكن فيهم من هو عربي الأم الا ثلاثة ، الأول : ابو العباس السفاح ، أمه ريطة بنت عبد المدان الحارثي (خلاصة الذهب 53) وكان يدعي ابن الحارثية ، وكانت عروبة امه السبب في تقدمه علي أخيه المنصور الذي يكبره في السن فإن أم المنصور بربرية اسمها : سلامة ، (خلاصة الذهب 59) والثاني : المهدي بن المنصور ، وأمه أم موسي بنت منصور بن عبدالله الحميري (خلاصة الذهب 90) والثالث : محمد الأمين بن هارون الرشيد ، أمه : زبيدة بنت جعفر بن المنصور ، قالوا : لم يلي الخلافة هاشمي من هاشميين الا ثلاثة : الإمام علي بن أبي طالب ، وابنه الحسن ، ومحمد الأمين ، (خلاصة الذهب 171) أما بقية الخلفاء العباسيين فكلهم أبناء امهات أولاد. راجع الفرج بعد الشدة ج 1 / 245 تحقيق عبود الشالجي.

وجاء الإسلام ، فكان لا بد له من كلمة فصل تخفف من مآسي الإنسانية في شتي المجالات ، فكان له في هذا الأمر دور كبير ابتدأه

صاحب الرسالة(صلي الله عليه و آله) بنفسه ليكون عبرةً للآخرين وسُنَّةً يقتدي بها المسلمون عبر العصور.

وقد أوضح الإمام زين العابدين(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ذلك في كتاب بعثه إلي هشام بن عبد الملك حين لامه علي زواجه من أمته ، كتب يقول :

« ولنا برسول الله أسوة ، زوّج زينب بنت عمه زيداً مولاه ، وتزوج مولاته بنت حيي بن أخطب. » (1) وكتب إليه أيضاً : « إنه ليس فوق رسول الله(صلي الله عليه و آله) مرتقيً في مجدٍ ، ولا مستزادٌ في كرم .. » (2).

1- الوسائل 14 ب 27 من أبواب النكاح ح 10 / ص 50.

2- الوسائل 14 ب 27 من أبواب النكاح ح 2 / 48.

« قصة جويبر وجليبيب »

وكان رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قد استعمل نفوذه في تطبيق هذه الخطة بين المسلمين من المهاجرين والأنصار ، غنيهم وفقيرهم امعاناً منه صلوات الله عليه في دفن هذه الصرعة الجاهلية المقيتة التي لا تزيد الإنسان إلا بُعداً عن أخيه الإنسان ، بل التي تخلق فجوات بين المسلمين لا تحمد عقباها ، هم في غنيً عنها وعن أمثالها ، انطلاقاً من المقهوم السهل البسيط للإنسانية والرحم : « كلكم لآدم ، وآدم من تراب » وانطلاقاً من المفهوم القرآني السمح : (إن اكرمكم عند الله أتقاكم).

إستعمل(صلي الله عليه و آله) نفوذه في تطبيق هذه الخطة مع نفسه أولاً ، فتزوج صفية بنت حُييّ بن أخطب بعد أن أعتقها ، وتزوج ابنة عمه زينب بعد أن زوجها من مولاه زيدٍ ، وطلقها زيد. ثم طبقها ثانياً مع المسلمين. ومنهم جويبر.

وكان جويبر هذا من أهل اليمامة وكان قصيراً دميماً محتاجاً عارياً ، وكان من قباح السودان ، إلا أنه كان قد أسلم وحسن إسلامه. وفي ذات يوم ، نظر رسول الله إليه بعطف ورقة ، وقال له :

« يا جويبر ، لو تزوجت إمرأة » فعففت بها فرجك وأعانتك علي دنياك وآخرتك ؟

فقال له جويبر : يا رسول الله ؛ بأبي أنت وأمي ، من يرغب فيّ ؟! فوالله ما من حسب ولا نسب ، ولا مال ، ولا جمال ، فأيّة إمرأة ترغب فيّ ؟

فقال له رسول الله(صلي الله عليه و آله) : يا جويبر ، إن الله قد وضع بالإسلام من كان في الجاهلية شريفاً ، وأعز بالإسلام من كان في الجاهلية ذليلاً ، وأذهب بالإسلام ما كان من نخوة الجاهلية وتفاخرها بعشائرها ، وباسق أنسابها ، فالناس اليوم كلهم أبيضهم وأسودهم ، وقرشيهم وعربيهم وعجميهم من آدم ، وان آدم خلقه الله من طين ، وان أحب الناس إلي الله ، اطوعهم له وأتقاهم ، وما أعلم – يا جويبر – لأحد من المسلمين عليك اليوم فضلاً ؟ إلا لمن كان أتقي لله منك وأطوع.

ثم قال له : إنطلق يا جويبر إلي زياد بن لبيد فإنه أشرف بني بياضة حسباً فيهم ، فقل له : إني رسول رسول الله إليك ، وهو يقول لك : زوج جويبراً بنتك الدلفاء. (1) الحديث ، فزوجه إياها.

ومرة ثانية يأتي رجل من الأنصار إلي النبي(صلي الله عليه و آله) فيقول له :

يا رسول الله ، عندي مهيرة العرب ، وأنا أحب أن تقبلها ، وهي ابنتي.

قال : فقال(صلي الله عليه و آله) : قد قبلتها.

قال : وأخري ، يا رسول الله ، قال : وما هي ؟ قال : لم يضرب عليها صدع قَط !

قال(صلي الله عليه و آله) : لا حاجة لي فيها ، ولكن زوجها من « جلبيب » ! قال : فسقط رجلا الرجل مما دخله – أي اسقط ما في يديه لشدة

1- الوسائل 14 / ب 25 ح 1 ص 43 – 44.

الصدمة لأن جلبيب هذا كان قصيراً دميماً. - ثم أتي أمها فأخبرها الخبر ، فدخلها مثل ما دخله (1) فسمعت الجارية مقالته ورأت ما دخل أباها (وأمها) فقالت لهما : ارضيا لي ما رضي الله ورسوله.

قال : فتسلي ذلك عنهما ، وأتي أبوها النبيَّ(صلي الله عليه و آله) وأخبره الخبر. فقال رسول الله(صلي الله عليه و آله) : قد جعلت مهرها الجنة. (2)

1- وقال في الإستيعاب : وكانت فيه دمامة وقصر ، فكأن الأنصاري وامرأته كرها ذلك ، فسمعت ابنتهما بما أراد رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) من ذلك ، فتَلَت قوله تعالي : (وما كان لمؤمن ولا مؤمنةٍ إذا قضي الله ورسوله أمراً أن تكون لهم الخَيرةُ من أمرهم) وقالت : رضيتُ وسلّمت لما يرضي لي به رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ، فدعا لها رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : اللهم أصبب عليها الخير صبّاً ولا تجعل عيشها نكدا. ثم قتل عنها جلبيبها فلم يكن في الأنصار أيم انفق منها. (الإستيعاب 1 / 256) وفي الوسائل : فمات عنها جلبيب ، فبلغ مهرها بعده مائة ألف درهم (تتمة زيادة الحديث). ومن حديث أنس بن مالك ، عن جلبيب : قال : فعرض عليه رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) التزويج. فقال : إذن تجدني - يا رسول الله - كاسداً ! فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : انك عند الله لست بكاسد. وفي حديث عن ابي برزة الأسلمي : ان رسول الله كان في مغزاه ، فأفاء الله عليه ، فقال لأصحابه : هل تفقدون أحداً ؟ قالوا : نعم ، فلاناً وفلاناً ، ثم قال : هل تفقدون أحداً ؟ قالوا : لا ! قال : لكني أفقد جلبيباً ، فاطلبوه. قال فوجدوه الي جنب سبعة قد قتلهم ، ثم قُتل ، فأتاه النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فوقف عليه وقال : قَتَل سبعة ثم قُتِل ، هذا مني وأنا منه .. ثم أحتمله النبي علي ساعديه ، ماله سريرٌ غير ساعدي رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) ثم حفروا له ، فوضعه في قبره (الإستيعاب 1 / 257 - 258).

2- الوسائل 14 ب 5 من ابواب النكاح ح 2 ص 44 - 45.

تزويج المقداد بن الأسود

ومن هنا ، من هذا المنطلق الإيماني ، زوج رسول الله(صلي الله عليه و آله) المقداد بن الأسود.

وذلك : أن المقداد وعبد الرحمن بن عوف كانا جالسين ، فقال عبد الرحمن للمقداد :

مالك لا تتزوج ؟

قال : زوجني ابنتك.

فغضب عبد الرحمن وأغلظ له ! (1)

قام المقداد من عنده منكسفاً ، يتعثر بأذيال الفشل ، فلم يكن يتوقع من صحابي كعبد الرحمن أن يرده هذا الرد القاسي ويغلظ له في القول ، وشعر في قرارة نفسه أن طلبه هذا قد جرَّ عليه مهانةً كان في غني عنها ، وان عبد الرحمن الزهري نظر إليه نظرةً قَبليّةً ؛ فبنو زهرة من صميم قريش ، وأني لحليف لهم من بهراء لاجئ ان يتطاول علي هذا البيت العريق يريد مصاهرته ! ومن يكون المقداد في جنب عبد الرحمن ، وابنة عبد الرحمن !!

غضب عبد الرحمن وأغلظ له ، فما كان من المقداد إلا أن يمم قاصداً رحاب الرسول الكريم(صلي الله عليه و آله) حيث يجد المؤمن فيض الرحمة والحنان

1- الإصابة 3 / 454 - 455.

والعطف ، وحيث تجد الإنسانية المعذبة من يلم جراحها ويمسح آلامها ، مشي نحو النبي فشكا ذلك إليه.

« فقال(صلي الله عليه و آله) » : أنا أزوجك ! (1)

محمـدٌ ومن مثل محمد !؟ وهبّت في تلك اللحظات نسـمةٌ كأنها أتت من الجنة ، هدأت لها نفس المقداد وارتاحت بعد عناء ، وأطرق يفكر في جوٍّ مفعم بالنشوة ، من يا تري ؟ من تكون هذه التي سيختارها له محمد ؟

وربما خطر علي باله أنه سيختار له واحدةً من بنات المهاجرين والأنصار كما فعل مع جويبر وجلبيب رضي الله عنهما ؛ ولا أظن أن تصوره ذهب إلي أبعد من ذلك ؛ وفي ذلك الهناء والسعادة ، ولكن كانت المفاجأة أعظم وأكبر من التصور !!

فقد اختار له النبي(صـلي الله عليه و آله) كريمة درجت في أعز بيت من قريش والعرب ، وأعز بيت في الإسلام ؛ اختار له ابنة عمه « ضباعة بنت الزبير بن عبـد المطلب ». وإنمـا فعل ذلك ، – كما ورد عن أبي عبـدالله الصادق(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) – « للتتضع المناكـح ، وليتأسوا برسول الله(صلي الله عليه و آله) وليعلموا أن اكرمهم عند الله أتقاهم. » (2) وليعلموا أن اشرف الشرف الإسلام. (3) كما في حديث آخر.

1- تتمة رواية الإصابة.

2- راجع الوسائل 14 ب 26 ح 1 ص 45.

3- مكارم الأخلاق / 207 : قال رسول الله الخ ..

« بين الأشعث بن قيس والإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) »

ثمـة رواية تقول : أن الأشـعث بن قيس الكندي « دخل علي علي بن أبي طالب(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فوجد بين يديه صبّية تدرج ، فقال : من هذه يا أمير المؤمنين ؟

قال هذه زينب بنت أمير المؤمنين !

قال : زوجنيها – يا أمير المؤمنين.

قـال(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : أعزب ، بفيك الكثكث (1) ، ولـك الأَثلب ، أغَرك ابن أبي قحافـة حين زوَّجك ام فروة ؟! إنها لـم تكن من الفواطم ، ولا العواتك من سُليم !

فقال : قد زوجتم أخمل مني حسباً ، وأوضع مني نسباً ، المقداد بن عمرو ، وإن شئتَ فالمقداد بن الأسود ؟!

قال علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : ذلك رسول الله فعله ، وهو أعلم بما فعل ، ولئن عُدَتَ إلي مثلها لأَسوَءنّك (2) !

ورُبَّ معترضٍ علي مضـمون كلام الإمام مع الأشـعث ، حيث يُسـتشمُّ منه رائحة التعصـيب والمنطق القبلي – حاشا الإمام ذلك – فيؤخذ بالوهم والتباس

1– الكثكث التراب والحجارة. والأثلب : التراب والحجارة. أو مطلق ما يعاب به الإنسان.

2– العقد الفريد 6 / 136.

الحقيقة. فالإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) أبعد ما يكون عن هذا التفكير العشائري لو وجد خصمه أهلاً وكفؤاً لزينب ، حسب الموازين الإسلامية.

لقد كان الأشـعث بن قيس يري في نفسه كبراً تظهر آثاره بين الفينة والفينة سـيما مع الإمام علي ، فقد كان جريئاً عليه ، وجرأته تلك تنم عن وقاحة وسوء ظن ، وغلظة ، فكان يعترض الإمام في أحرج المواطن وأشدها(1) وكان ينهج في

1- فيمـا كان الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يخطب ذات يوم ، إذ اعترض عليه الأشـعث بشأن التحكيم ، فكان من جملـة ما قاله الإمام له : « ما يـدريك ما عليّ مما لي ، عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك بن حائك ، منافق بن كافر ، والله لقد أسـرك الكفر مرة والإسـلام أخري ، فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك ، وإن إمرءً دل علي قومه السيف ، وساق إليهم الحتف لحريٌ أن يمقته الأقرب ، ولا يأمنه الأبعد ». تصنيف نهج البلاغة / 222. واسم الأشـعث : معدي كرب ، وأبوه قيس الأشج ، وكان الأشـعث أبداً أشعث الرأس فسمي الأشعث وغلب عليه حتي نُسـي إسـمُهُ وقد تزوج رسول الله أخته قتيلة ، فتوفي قبل أن تصل إليه. وأما الأسـر الذي أشار إليه امير المؤمنين هنا في الجاهلية ، فهو انه حين قتل أبوه خرج يطلب الثأر فأسـر ، وفـدي بثلاثـة آلاف بعير ، لـم يفـد بها عربي قبله ولا بعـده ، وفي ذلك يقول عمرو بن معـدي كرب الزبيدي. فكان فداؤه ألفي بعيرٍ * وألفا من طريفاتٍ وتُلدِ وأما الأسر الثاني في الإسلام ، فقد كان في عهد أبي بكر ، وذلك أن بني وليعة ارتدوا بعد رسول الله ، وملكوا عليهم الأشعث ، فحاصره المسلمون وكان في حصن ، فاستسلم بعد أن شرط عليهم أن يبعثوا به الي ابي بكر ، ثم فتح لهم الحصن ، فدخلوه واسـتنزلوا كل من فيه وأخذوا أسـلحتهم وقتلوهم وكانوا ثمانمائة ، ! وقيل : أمنوه مع عشرة من أهل بيته فقط ، ثم أخذ موثقاً بالحديد. قال الطبري : وكان المسـلمون يلعنون الأشـعث ويلعنه الكافرون أيضاً وسـبايا قومه ، وسماه نساء قومه عرف النار - وهـو اسم للغـادر عنـدهم. وقـال ابن أبي الحديـد : كـان الأشـعث من المنـافقين في خلافـة علي(عَلَيْهِ السَّلاَـمُ) ، وهـو في أصـحاب امير المؤمنين(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) كما كان عبـدالله بن أبي بن سـلول في اصـحاب رسول الله(صـلي الله عليه و آله) ، كل واحد منهما رأس النفاق في زمانه - راجع شرح النهج 1 / من ص 292 - 927.

ذلك منهج : خالف تُعرف ! وكان الإمام(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يعامله بالمثل ، وقد انكشفت حقيقته لديه فيما بعد.

إن هذا الرجل كان بعيداً عن الإيمان وعن مبدأ علي ، فلم يبق له شيءٌ يفتخر فيه أمام عليّ إلا النسب والعشيرة حيث قال : قد زوجتم اخمل مني حسباً !

بيـد أن الإمام(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) تناوله من حيث بـدأ. فأفهمه أنه ليس كفؤاً لزينب ، ولا لواحـدة من الفواطم والعواتك ، وأن كندة التي يفتخر بها الأشعث ، ليست كفؤاً لهاشم وسُلَيم ، قرعاً للحجة بالحجة ، وفلاًّ للحديد بالحديد.

وحين ضرب له الأشعث مثلاً بالمقداد ، لم يُطل معه الإمام الشرح ، بل أجابه بقوله : ذاك رسول الله فعله.

جواب مسـكتٌ لا يمكن معه رَدٌّ ، أو اعتراض من مسـلم ! فهل يفعل الرسول إلا ما فيه المصـلحة والرجحان ؟ وهل كان ليزوج المقداد من ابنة عمه ضباعة لو لم يكن كفؤاً لها ؟

زوجة المقداد وأولاده

وضباعة كنيتها أم حكيم وقد ولدت للمقداد عبدالله ، وكريمة.

وكـانت تروي عن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وعن زوجهـا المقـداد. وروي عنها ابن عباس ، وعائشـة ، وبنتها كريمـة بنت المقـداد ، وابن المسيب وعروة ، والأعرج وغيرهم. (1)

وقتل عبدالله بن المقداد في حرب الجمل مع عائشة « سنة ست وثلاثين » فمر به علي بن أبي طالب ، فقال : بئس ابن الأخت أنت. (2) ولم أجـد لعبـد الله ترجمـةً أوسع مما ذكرت. وأما معبـد فقـد ذكر في « الإصابـة ». وأظن أن أمره قـد التبس علي ابن حجر ، فتارةً يقول : مرت ترجمته في ترجمـة والـده. وتارةً يـذكر : معبـد بن المقـدام بدل المقداد. وأما في غير هذا الكتاب من الكتب التي بين يدي فإنها لا تتعرض لذلك. والله أعلم.

واليوم ، هناك عائلة واسعة الانتشار تسمي : (بآل المقداد) وهم يسكنون في سوريا ولبنان وغيرهما من البلاد العربية.

وقد سألت السـيد حسن محمد المقداد عن سـبب التسمية ، فأجابني أنهم ينتمون إلي (المقداد) وأن هذا أمر توارثه الأبناء عن الآباء ، وقال فيما قال : أن النزوح الأساسي كان إلي الشام قبل مئات السنين بسبب

1- الإصابة 4 / 352.

2- الإصابة 3 / 65 كما عن طبقات بن سعد.

الإضطهاد الديني ، ثم توزعوا بين الشام وجهات بعلبك.

وأخبرني الحاج كاظم المقداد : أن شـجرة النسب (نسبهم) توجد عند آل المقداد الموجودين في « بصري الشام » وهم وإياهم ابناء العم ، وذلك : أن إثنين من ابناء المقداد كانوا في قلعة السويداء ، فنزحوا الي منطقة (حجولا – كسروان) ثم رجع أحدهم فسكن بصري الشام.

وحدثني بعض الثقات بما يقرب من هذه المضامين ، وهو ليس ببعيد ، والله أعلم.

ص: 137

الشوري، وموقف المقداد منها

اشارة

* شبح المؤامرة!

* فكرة الشوري وأبعادها.

* سير عملية الشوري. وما افرزت من تناقضات.

* خلفيات الشوري.

* بدء المعارضة وقصة عبدالله بن عمر مع الهرمزان.

ص: 139

شبح المؤامرة

قال الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) يصف عملية الشوري ، وموقفه منها :

« حتي إذا مضـي لسبيله ، جعلها في سـتةٍ زعم أني أحدهم ، فيالله وللشوري ! متي إعترض الريبُ فيّ مع الأول منهم حتي صرتُ أُقرنَ إلي هذه النظائر ! لكني أسفَفتُ إذ أسفوّا وطرتُ إذْ طاروا ، فَصَغا رجلٌ منهم لضِغْنِهِ ، ومالَ الآخَرُ لصِهرِهِ مع هَنٍ وهن .. ».

نهج البلاغة / ج 1 / 41 - 42

ص: 141

فكرة الشوري وابعادها

أرسل المغيرة بن شعبة(1) إلي عمر يقول : « إن عنـدي غلاماً نقاشاً نجاراً حداداً فيه منافع لأهل المدينة ، فإن رأيت أن تأذن لي في الإرسال به ، فعلتُ. » فإذن له. (2) فبعث بغلامه أبي لؤلؤة فيروز الفارسي.

وكان عمر لا يأذن لسبيٍّ قد احتلم في دخوله المدينة حتي كتب إليه المغيرة بن شعبة. (3)

مكث أبو لؤلؤة في المدينة فترة غير طويلة لا تتعدي الأشهر كان سيده المغيرة قد فرض عليه في خلالها ضريبةً قدرها مائة درهم لكل شهر.

في هذه الفترة كانت أقبية المدينة تشـهد لوناً من ألوان الصراع الحزبي كشفت عنه الأيام فيما بعد وكان للأمويين والمؤلفة قلوبهم والمنافقين دور كبير فيه ، وفي هذه الفترة أيضاً ومن خلال ذلك الصـراع العنيف يبدو للمتتبع أن مؤامرة ما كانت تحاك في الظلام ، وربما استهدف فيها الخليفة نفسه ! سيما إذا أخذنا بعين الإعتبار السياسة الخشنة التي انتهجها عمر والتي لا ترضي أقطاب قريش ..

ومرت الأيام تتوالي سراعاً حتي إذا كان الظرف مؤاتياً والأمر مستوسقاً بدأ

1- المغيرة بن شـعبة ، قال عنه الشـعبي : كان من دهاة العرب. وقال قبيصـة بن جابر : صـحبت المغيرة ، فلو أن مدينـةً لها ثمانيـة أبواب لا يخرج من باب منها إلا بالمكر ، لخرج المغيرة من أبوابها كلها (الإصابة 3 / 452).

2- مروج الذهب 2 / 320.

3- تاريخ الخلفاء 152.

التنفيـذ لهذه المؤامرة علي أدق ما يتصور ، فقبل مقتل عمر بثلاثة أيام أقبل إليه كعب الأحبار(1) ليزُفّ إليه بشارةً ما أظن أن أبعادها خفيت علي الخليفة ، فقال : أجدك في التوارة تقتل شهيداً !

فقال عمر : وأني لي بالشهادة ، وأنا في جزيرة العرب ؟! (2) وكأنه بجوابه هذا يقرأ سراً إنطوي عليه قلب كعب !!

وكأن كعباً بقولته تلك يحاول تضـليل الخليفة عن تلك المؤامرة والتي يظهر أن لكعب ضـلعاً فيها ، فليست قولته هذه إلا « شاهد من شواهد ذلـك الصـراع الحزبي العنيف الأـخرس ، وفلتـة ربمـا دانت كعباً بالإنتماء الي الحزب الأموي والتجسـس علي عمر في ثوب المخلص له المقرب إليه ، فقد كان كعب بعد ذلك ركناً في بلاط معاوية يدير فيه الدعاية ويعلم فيه الدس عن طريق القصص والوضع ... (3)

وفي ذات يوم أقبل أبو لؤلؤة إلي عمر يشكو إليه ثقل خراجه الذي فرضه عليه المغيرة. فقال له عمر : وما تحسن من الأعمال ؟

قال : نقاش ، نجار ، حداد.

1- كعب بن مانع ، قدم من اليمن في خلافة عمر بن الخطاب فأخذ عنه الصـحابة وغيرهم ! ومات بحمص بعدما ملأ الشام وغيرها بخرافاته اليهوديـة .. ومن خرافـاته : أن الأـرضون السـبع علي صـخرة ، والصـخرة في كف ملـك ، والملك علي جناح الحوت ، والحوت في الماء ، والريح علي الهواء ريح عقيم لا تلقح ، وان قرونها معلقة في العرش .. الخ - كما جاء في تذكرة الحفاظ للذهبي. وجاء في الطبقات الكبري : أنه ظل بعد اسلامه يحرص علي قراءة أسفار التوراة. وهو الذي أخبر عمر بن الخطاب بأنه سيقتل وذلك قبل مقتله بثلاثة أيام مدعياً أنه وجد ذلك في التوراة ... وكعب هذا يهودي من اليمن وهو من اكثر من تسـربت منهم أخبار اليهود الي المسلمين - راجع الموضوعات في الآثار والأخبار - 105 وما بعدها.

2- نفس المصدر 124.

3- حليف مخزوم - 160.

فقال له عمر : ما خراجك بكثير في كنه ما تحسن من الأعمال. فمضي عنه وهو يتذمر.

ومر بعمر يوماً وهو قاعد ، فقال له عمر : الم أحدَّث عنك أنك تقول : لو شئتُ أن أصنع رحاً تطحن بالريح ، لفعلتُ ؟!

فقال ابو لؤلؤة : لأصنعن لك رحاً يتحدث الناس بها ! ثم ولي عنه.

فقال عمر : أما العلج فقد توعدني آنفاً ! (1)

وأخذ أبو لؤلؤة خنجراً ذا رأسين ، وشحذه وسمّه « فاشتمل عليه ، ثم قعد لعمر في زاوية من زوايا المسجد في الغلس ، فلم يزل هناك حتي خرج عمر ، فلما مرّ به طعنه ثلاث طعنات ، إحداهن تحت سرته ، وهي التي قتلته. وطعن إثني عشر رجلاً من أهل المسجد ، فمات منهم ستة وبقي ستة ، ثم نحر نفسه بخنجره فمات.

ونقل الخليفة إلي داره مضرجاً بدمائه ، وأحب في تلك اللحظات الصعبة أن يكتشف ما إذا كانت عملية الإغتيال هذه قد أتت عن أمر دُبّر بليل ، أو أنها كانت مجرد حقد شخصي من أبي لؤلؤة. فأمر مناديه ، فنادي بالناس.

« أعن ملأٍ ورضيً منكم كان هذا ؟

فقالوا : معاذ الله ، ما علمنا ولا إطلعنا ! » (2)

وأقبل الطبيب ينظر جراح الخليفة التي أخذت تنزف ، علّه يجد بلاًّ لها أو شفاء ، فأراد أن يعرف ما إذا كانت الطعنات قد نفذت في أمعائه وأحشائه ، أو أنها كانت دون الصفاق (3) ، فنظر الي عمر وقال :

1- مروج الذهب 2 / 320.

2- الإمامة والسياسة 1 / 26.

3- الصفاق : الجلد الأسفل الذي تحت الجلد الذي عليه الشعر.

أيَّ الشراب أحب اليك ؟

فقال : النبيذ ! فسقوه نبيذاً ، فخرج من بعض طعناته !

وذهل الطبيب لما رأي ، لكن الناس اشتبه عليهم الأمر ، فقالوا : صديد ! صديد ! اسقوه لبناً ، وكأنهم أرادوا أن يثبتوا للطبيب خطأ تقديره.

فسقوه لبناً ، فخرج اللبن أبيض صريحاً !

وذُهل الناس ! أما الطبيب ، فالتفت إلي الخليفة قائلاً : لا أري أن تمسي ؛ فما كنت فاعلاً فافعل.

بعد هنيهة جاء كعب الأحبار ، فدخل عليه وقال له معزياً ومسلياً : قد أنبأتك أنك شهيد !

لكن الخليفة نظر إليه نظرة استرخاء ، فيها شيء من السخرية والاستهزاء ، مفهماً إياه أن الامر أدق مما يحاول تصويره ، وأنه ليس هناك حيث يظن ، معيداً إلي ذاكرته ما كان اجابه به قبل ثلاثة أيام ، فقال له : واني لي بالشهادة ، وأنا في جزيرة العرب ؟! وما ضرّ كعباً أن لا يعلق علي جوابه هذا ، فلم يبق من عمره إلا ـ ساعات من نهار ، وفي ذلك أمانٌ له من الدِرّة ، لكنه فهم أن عمر ليس بالإنسان الساذج البسيط الذي تنطوي عليه هذه العبارات الفارغة ، دون أن يفهم أبعادها.

وخرج كعب من عنده : ليترك المجال للناس يثنون علي الخليفة وهو في آخر ساعات من حياته. « فجعل الناس يثنون عليه ويذكرون فضله ». فوجدوا منه غير ما كانوا يتوقعون ، حيث إلتفت إليهم قائلاً : « إن من غررتموه لمغرور ، إني والله وددت أن أخرج منها كفافاً كما دخلت فيها ، والله لو كان لي اليوم ما طلعت عليه الشمس لافتديت به من هول المطَلَع. ! » (1)

ثم أقبل إليه المتزلفون يستثيرون منه مكمن العاطفة ، يتقربون إليه

1- الإمامة والسياسة 1 / 26.

بذلك ، ويظهرون له وّدهم وإخلاصهم ، فأشاروا عليه بأن يولي ولده عبدالله !

فقـال لهم : « لاـ هـالله ، إذن لا يليها رجلان من ولـد الخطاب ، حسبُ عمر ما حمل ، حسب عمر ما احتقب ، لا هالله ، لا أتحملها حياً وميتاً ! ».

ومرة ثانية يأتيه الناس ، فيقولون له : يا أمير المؤمنين لو عهدتَ ؟

فيقول لهم : قـد كنت أجمعت بعـد مقـالتي لكم ، أن أولي رجلاً أمركم ، أرجو أن يحملكم علي الحق – وأشـار الي علي – ثم رأيت أن لا أتحملها حيّاً وميتاً.

ومرةً أخري يتأوه ويتـذمر فيقول : لو كان أبو عبيـدة حياً لاسـتخلفته ... ! لو كان معاذ بن جبل حياً لإسـتخلفته .. لو كان خالد بن الوليد حياً لإسـتخلفته !! ثم يعلل ذلك بأن : أبو عبيـدة أمين هـذه الأمة ، ومعاذ بن جبل يأتي بين يدي العلماء يوم القيامة ! وخالد بن الوليد سـيف من سيوف الله .. ! كما سمع هو من النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) في حقهم .. (1)

ثم أرتـأي أن يجعلهـا في سـتةٍ من المسـلمين ، وهم : علي ، وطلحـة ، وعثمان ، والزبير ، وعبـد الرحمن بن عوف ، وسـعد بن أبي وقاص ، موهماً أنه بذلك يخرج عن تحمل تبعاتها ومسؤولياتها ، وفي غمرة المسؤولية وقع حين حصرها في هؤلاء الستة حصراً لا يمكن فكه حسبما خطط. !

المهم ، أنه اسـتدعي هؤلاء السـتة ، فـدخلوا عليه وهو ملقيً علي فراشه يجود بنفسه ، فنظر إليهم فقال : أَكُلَكُمْ يَطمَعُ في الخلافـة بعدي ؟! فوجموا. فقال لهم ثانيةً.

فأجابه الزبير ، وكأن استشعر السخرية في سؤاله ، فقال :

1- راجع الإمامة والسياسة 1 / 28.

« وما الذي يبعدنا منها !؟ وُليتها أنتَ فقمتَ بها ، ولسنا دونك في قريش ولا في السابقة ، ولا في القرابة ! ».

فقال عمر : أفلا أخبركم عن أنفسكم ؟

قال : قل ، فأنا لو استعفيناك لم تعفنا.

فقال : أما أنت يا زبير ، فوعِق لقِسْ (1) مؤمن الرضا ، كافر الغضب ، يوماً إنسان ، ويوماً شيطان ، ولعلها لو افضت إليك ظلتَ يومك تلاطم بالبطحاء علي مدٍّ من شعير ! أفرأيت إن افضت إليك ؛ فليت شعري من يكون للناس يوم تكون شيطاناً ، ومن يكون يوم تغضب ! وما كان الله ليجمع لك أمر هذه الأمة وأنت علي هذه الصفة.

ثم أقبل علي طلحة ، وكان له مبغضاً – منذ قال لأبي بكر يوم وفاته ما قال في عمر – (2) ، فقال له : أقول ، أم أسكت ؟

قال : قل ، فإنك لا تقول من الخير شيئاً.

قال : أما اني أعرفك منذ أصيبت أصبعك يوم أُحد ، والبأو (3) الذي حدث لك ، ولقد مات رسول الله(صلي الله عليه و آله) ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها يوم أنزلت آية الحجاب (4).

1- الوعق : الضجر المتبرم. واللقس : من لا يستقيم علي وجه.

2- الكلمة التي قالها طلحة لأبي بكر هي : ما أنت قائل لربك غداً ، وقد وليت علينا فظاً غليظاً ، تفرق منه النفوس ، وتنفض عنه القلوب ! (شرح النهج 1 / 164).

3- البأو : الكبر والفخر.

4- قال الجاحظ : الكلمة المذكورة ، ان طلحة لما أنزلت آية الحجاب ، قال بمحضرٍ ممن نقل عنه الي رسول الله ، : ما الذي يغنيه حجابهن اليوم ، وسيموت غداً فننكحهن !! وقال الجاحظ أيضاً : لو قال لعمر قائل : أنت قلت أن رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مات وهو راض عن الستة ، فكيف تقول الآن لطلحة أنه مات(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ساخطاً عليك بالكلمة التي قلتها ، لكان قد رماه بمشاقصه ! والمشقص : فصل السهم إذا كان طويلاً. (نفس المصدر).

ثم أقبل علي سعد بن أبي وقاص ، فقال : إنما أنت صاحب مِقنَب (1) من هذه المقانب تقاتل به ، وصاحب قنصٍ ، وقوس ، وأسهم ، وما زُهرة (2) والخلافة وأمور الناس ؟!

ثم أقبل علي عبد الرحمن بن عوف ، فقال : وأما أنت يا عبد الرحمن فلو وُزن نصف إيمان المسلمين بإيمانك ، لرجح إيمانك به ، ولكن ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعفٌ كضعفِك ، وما زُهرة وهذا الأمر . !

ثم أقبل علي عليّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقال : لله أنت لولا دعابة فيك .. ! أما والله لئن وُلّيتهم لتحملنهم علي الحق الواضح ، والحجة البيضاء.

ثم أقبل علي عثمان – وكأنه يناوله الخلافة – فقال له :

هيهاً إليك ؛ كأني بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبّها إياك ، فحملت بني أمية ، وبني أبي مُعيط علي رقاب الناس ، وآثرتهم الفيئ ، فسارت إليك عصابةً من ذؤبان العرب ، فذبحوك علي فراشك ذبحاً ، والله لئن فعلوا لتفعلنّ ، ولئن فعلتَ ليفعَلُنّ ، ثم أخذ بناصيته فقال : فإذا كان ذلك فاذكر قولي ، فإنه كائن !! (3).

بعد هذا ، أراد أن يبرم الأمر إبراماً تصدق معه فراسته في تسليم الأمر لعثمان ، فاستدعي أبا طلحة الأنصاري ، فقال له :

« انظر يا أبا طلحة ، إذا عدتم من حفرتي ، فكن في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بامضاء الأمر وتعجيله ، واجمعهم في بيت ، وقف بأصحابك علي باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحداً منهم.

1- المِقنَب : جماعة الخيل.

2- زهرة : قبيلة سعد بن أبي وقاص.

3- شرح النهج 1 / 186 - 187.

فإن اتفق خمسة ، وأبي واحد فاضرب عنقه.

وان اتفق اربعة وأبي إثنان فاضرب اعناقهما.

وان اتفق ثلاثة ، وخالف ثلاثة ، فانظر الثلاثة التي فيها عبد الرحمن ، فارجع الي ما قد اتفقت عليه ! فإن أصرت الثلاثة الأخري علي خلافها ، فاضرب أعناقها وان مضت ثلاثة أيام ولم يتفقوا علي أمر ، فاضرب أعناق الستة ، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم (1).

وقال للمقداد الكندي : إذا وضعتموني في حفرتي ، فاجمع هؤلاء الرهط حتي يختاروا رجلاً منهم (2). ولعله إنما أشار علي المقداد بذلك ليكون ممثلاً للمهاجرين في مراقبة هذه الشوري.

تخطيط دقيق محكم لولا أنه لم يكن ساتراً لبعض المتناقضات التي وقع فيها الخليفة ، كما لم يكن ساتراً لرغبته في عثمان حين جعل صوت عبد الرحمن – صهر عُثمان – بصوتين ، وما ذلك إلا إضعافاً لجانب علي.

ثمّة أمر آخر هو أهم ما انطوت عليه عملية الشوري هذه حيث استقام له فيها « وضع نظام يجمع بين التعيين والإنتخاب ، وحسبه من الإنتخاب صورته ، وان كانت هذه الصورة قلقة لا تكاد تستقر علي قاعدة دينيةٍ صريحة ، ولا علي مبدأ شعبي معترف به ، فالحقيقة أنه إنما صنع الإنتخاب ليتجنب التعيين ، لا أكثر (3). وبذلك يسلم من سخط أحد الفريقين المتخاصمين ، اتباع علي ، وأتبع عثمان.

عمر ، يعرف جيداً أن عليّاً هو صاحب الحق ، ولم تكن لتخفي عليه مؤهلاته للخلافة وسابقته وجهاده ، وقد أفصح للناس عن مسلك علي بقوله

1- شرح النهج 1 / 186 و 187.

2- العقد الفريد 4 / 275 والكامل 3 / 67.

3- حليف مخزوم.

لهم : « يحملكم علي الحق .. » لكن هناك قوة ثانيـة ترفض علياً وتأباه ، وهي قريش وحلفاؤها. إنها تري فيه الشـبح المرعب الذي يبدد كل آمالها وأحلامها ، فبالأمس القريب « في بـدر وأحـد » كانت هامات صـناديدها من بني أمية وبني عبد الدار طعاماً هشاً لسـيف علي ، ومع ضربـاته كـانت ألويتهم تتهـاوي لواءً بعـد لواء ، ويتهـاوي معهـا الشـرف الجاهلي ، وليست قريش وحـدها كانت تحـذر علياً وتخشاه ، بل المنافقون واليهود أيضاً يشاركونهم هـذا الشـعور ، فهم لا ينسون أبـداً ضـربته يوم (الخندق) وثبات سـيفه في جمجمة عمرو بن ود دون أن يلتوي في يـده أو يُفل ، ويوم (خيبر) لا زالوا يـذكرون كيف كان سـيفه يقعقع في أضـراس (مرحب) وأخيه (الحارث) ولم يكتف بذلك حتي امسك بباب الحصن وجعلها ترساً له حتي فتـح الله علي يـديه ، حين يـذكرون ذلك تنخلع قلوبهم خوفاً وفرقاً ، لذلك هم يرفضونه .. ويرفضونه .. يرون فيه المارد الذي يلاحقهم يلوّح لهم بالموت الأحمر إن لم يفيئوا إلي الحق. وهم يهربون من الحق.

وعثمان ، يعرفه عمر جيداً ، ويعرف مدي ضـعفه عن أمر الخلافة ، وكيف أنه إن وَلِيَها سـيؤثر أهله وذوي قرابته علي سائر المسـلمين ، وأنه « سيحمل بني أمية وبني أبي مُعَيط علي رقاب الناس. » كما أنبأه بذلك ؛ ولكن ! قريش تريد عثمان.

الناس تريد عدل علي واسـتقامته ، وقريش تحذر عدل علي واسـتقامته ، وأبو حفص كان يعلم هذا وذاك. مأزق حرج لا يمكنه معه الاختيار صراحة.

أيعلن للناس اسـتخلاف علي دون غيره صـراحة ؟ فيخسـر بذلك قريشاً ، فلا يسـلم من سـخطها وإنتقامها بعد موته ويصـبح مضغةً في أفواه شعرائها وخطبائها ، ونهشـةً لرواة السوء – كما فعلوا بعلي فيما بعد –. أم يعلن اسـتخلاف عثمان صـراحةً ، وهو يعلم ما لعلي من مكانةٍ في نفوس المسلمين ، فلن يسلم أيضاً من سبّه التاريخ ! ودفعاً لهذا وذاك ، تركها حرةً طليقة ، ولكن بعد أن

امسك بزمامها ، تروح ثم تغدو إليه آخر الأمر.

وأدرك عليٌّ أبعاد هذه الشوري وما انطوت عليه من تدبير ، فلقي عمه العباس وقال له : « عُدِلتْ عنا ! » يعني الخلافة.

قال له : وما أعلمك ؟

قال : قرن بي عثمان ثم قال إن رضـي ثلاثةٌ رجلاً ، ورضـي ثلاثةٌ رجلاً ، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ! فسـعدٌ لا يخالف ابن عمه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عثمان لا يختلفون ، فلو كان الآخران معي ما نفعاني. (1)

وكان عمه العباس قبل ذلك قـد أشار عليه باعتزال هذه الشوري والترفع عن جلساتها محذراً إياه بأنه سـيلقي ما يكره. فكان جواب علي له : « انني أكره الخلاف ! »

والحق أن بغضه للخلاف ليس وحـده هو الدافع لمشاركته لهم في هذا الأمر ، سـيما بعد أن اسـتبق النتيجة وعلم الأمر سـيكون لغيره ، بل هناك دافع آخر للمشاركـة معهم ، وهو يتلخص : « في أن لعلي مـذهباً في السـياسة ؛ مثاليّاً واقعيّ المثالية ، لا يتنازل عنه إلا أن يتنازل عن نفسه وشخصـيته ؛ وما أظنك مغالياً إذا ظننت أن مـذهبه هذا أعان خطة الشوري المكشوفة المقنّعة علي النجاح ، كما اعان علي علي نفسـه قبل الشوري وبعدها مراتٍ عديدة. (2)

1- العقد الفريد 4 / 276 وغيره.

2- حليف مخزوم 172 - 173.

سير عملية الشوري وما أفرزت من تناقضات

جمع المقداد أعضاء الشوري الستة في بيت ، بينما وقف أبو طلحة الأنصاري علي الباب ومعه خمسون رجلاً متقلدي سيوفهم تنفيذاً لوصية عمر. أما عبد الرحمن بن عوف فقد أمضي أياماً ثلاثة يشاور الناس في أمر الخلافة.

وأقبل الناس نحو المسجد يتدافعون إلي جهة الباب ، وهم لا يشكون في مبايعة علي بن أبي طالب.

وكـان هوي قريش كافـة – مـا عـدا بني هاشم – في عثمان ، وهوي طائفـة من الأنصار مع علي ، وهوي طائفـةٍ أخري مع عثمان – وهي أقل الطائفتين – وطائفة لا يبالون أيهما يبايع. (1)

وقـام كـل واحـد من السـتة يـدلي برأيه علي مسـمع الآخرين – كما ذكر الطبري – في خطبـة يسـتهلها بالحمـد والثناء علي الله ، حتي قام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فقال :

الحمد لله الذي إختار محمداً منا نبيّا ، وإبتعثه إلينا رسولا ، فنحن أهلُ بيت النبوّة ، ومعدنُ الحكمةِ ، أمانٌ لأهل الأرض ، ونجاةٌ لمن طلب ، إنّ لنا حقاً إن نُعطَهُ نأخذه ، وان نمنعه نركب أعجاز الإبل (2) وإن طال السري ! لو

1- شرح النهج 9 / 52.

2- قوله(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : نركب أعجاز الإبل ، كناية عن المعاناة والمشـقة ، فهو يحتمل أحد تفسـيرين ، الأول : إن نُمنعه : نصبر علي المشقة كما يصبرعليها راكب عجز البعير. والثاني أن نمنعه نتأخر ونتبع غيرنا كما يتأخر راكب البعير عن مردفه.

عهد إلينا رسول الله(صلي الله عليه و آله) عهداً لأنفذنا عهده ، ولو قال لنا قولاً لجالدنا عليه حتي نموت. لن يسرع أحد قبلي إلي دعوة حق ، وصلة رحم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (1).

إسمعوا كلامي ، وعوا منطقي ، عسي أن تروا هذا الأمر بعد هذا الجمع تنتظي فيه السيوف ، وتخانُ فيه العهود ، حتي لا يكون لكم جماعة ، وحتي يكون بعضكم أئمةً لأهل الضلالة ، وشيعةً لأهل الجهالة.

إنتهي كـل واحـد من كلامـه ، وخيّم سـكون مملٍ ، بينما كان الصـخب يملأ أرجاء المسـجد ، والهتاف يتعالي معلناً إسم علي تارةً واسـم عثمان أخري ، مما دفع بالأربعة الباقين أن يتخذوا القرار المناسب في حق أنفسـهم فيدلي كل واحد منهم بصوته إلي عثمان أو علي ؛ لأنهم علموا أن الناس لا يعـدلوهم بهما ، ولأن عبد الرحمن فرض نفسه من أول الأمر كمنظم لهذه الشوري ومدير لها ، سـيما وأن عمر ألمح إليه بأن الخلافة لا تصلح له ، حين قال له : « وما زهرة وهذا الأمر ! ».

إذن ، كان الناس فريقان ، فريق يريـدها لعلي ، وهو الفريق الممثل بالمقداد بن الأسود وعمار بن ياسـر. وفريق يريدها لعثمان ، وهو الفريق الممثل بابن أبي سرح وابن أبي المغيرة ؛ وتعالت الأصوات في هذا الحال ، كل فريق ينادي باسم صاحبه.

أقبـل المقـداد بن الأسـود علي الناس ، فقال : أيها الناس ، إسـمعوا ما أقول ، أنا المقـداد بن عمرو ، إنكم إن بايعتم عليّاً سـمعنا وأطعنا. وان بايعتم عثمان سمعنا وعصينا ! ».

فقام عبدالله بن أبي ربيعة المخزومي ، وقال : « ايها الناس ، إنكم إن بايعتم عثمان سمعنا وأطعنا ، وان بايعتم عليّاً سمعنا وعصينا. ».

1- شرح النهج 1 / 195.

فانتفض المقداد ورد عليه فقال : « يا عدُوّ الله ، وعُدوّ رسوله ، وعدُوّ كتابه ، ومتي كان مثلك يسمع له الصالحون ! » ؟

فقال له عبدالله : يابن الحليف العسيف ، ومتي كان مثلك يجترئ علي الدخول في أمر قريش !

وصاح عبدالله بن أبي سرح : « أيها الملأ ، إن أردتم أن لا تختلف قريش فيما بينها ، فبايعوا عثمان. ».

فنهض عمار بن ياسر وقال : « إن أردتم أن لا يختلف المسلمون فيما بينهم فبايعوا عليّاً ». ثم أقبل علي ابن أبي سرح وقال له : يا فاسق يا ابن الفاسق ، أأنت ممن يستنصحه المسلمون أو يستشيرونه في أمورهم ! ».

فتكلم بنو هـاشم وبنو أميـة ، فقام عمار فقال : أيها الناس ، إن الله اكرمكم بنبيه وأعزكم بـدينه ، فالي متي تصـرفون هـذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ! » (1).

كـانت أصوات الفريقين تعجـل في حسم الأـمر خوفـاً من وقوع الفتنـة ، فتقـدم طلحـة فأشـهدهم علي نفسه أنه قـد وهب حقه من الشوري لعثمان.

فقال الزبير : وأنا أشهدكم علي نفسي أني قد وهبت حقي من الشوري لعلي.

فقال سعد بن أبي وقاص : وأنا قد وهبت حقي من الشوري لابن عمي عبد الرحمن. (2)

وسكت عليٌّ وظل عثمان ساكتاً ، وأسفرت الجولة الأولي عن رجحان بين لعبد الرحمن ، لقد ملك صوتين كعلي وعثمان ، وزاد عليهما بأن صوته يعادل

1- شرح النهج 9 / 52.

2- شرح النهج 1 / 187 - 188.

صوتين ، فهو حتي الآن مركز الثقل حقاً.

تري ، أيضم صوته لنفسه فيخرج علي خطة عمر القائلة : « وما زهرة وهذا الأمر ؟ » أم يمضـي الي أمر عمر وخدمة صهره ؟ أم يعدل عن هذا كله ويتجه الي علي صاحب الأمر في عقيدة الكل ؟

كان الرجل ساكتاً أيضاً ، وكان يدير في فكره لفتةً بارعةً ، لا ندري أهي من بناته أم من محفوظاته ؟ ولكنها بارعةٌ في كل حال. (1) فقد التفت إليهما وقال :

أيكمـا يخرج نفسه من الخلافـة ويكون إليه الاختيـار في الإـثنين البـاقيين ؟ فلم يتكلم منهما أحـد. فقال عبـد الرحمن : أشـهدكم أنني قد أخرجت نفسي من الخلافة علي أن أختار أحدهما (2).

ومن براعـة لفتته أنه لم يلتفت إلي عثمـان ، بل التفت الي علي فقال له : أمـدد يـدك أبايعك علي العمل بكتاب الله ، وسـنة رسوله ، وسـيرة الشيخين.

فيقول علي : بل علي العمل بكتاب الله ، وسنة رسوله ، وأجتهاد رأيي.

فيلتفت آنذاك عبد الرحمن إلي عثمان فيذكر له شروطه الثلاثة ، فيقرها عثمان.

ثم لا يعجل عبد الرحمن ، فيسـرع إلي بيعة أخي زوجه من أول مرة ، فهو مطمئن إلي ان علياً يرفض الخلافة بغير شـرطه هو ، لأنه لا يناقض نفسه ، ولا يسـر حسواً في إرتغاء. ومن أجل هذا إسـتأني عبد الرحمن وكرّرَ عرضه علي عليّ الذي أباه ثلاث مرات ! ثم نهض وعبد الرحمن يَصفِق علي يد عثمان

1- حليف مخزوم 175.

2- شرح النهج 1 / 188.

بالبيعة. (1) ويقول له : السلام عليك يا أمير المؤمنين.

وهنا يلتفت علي إلي عبد الرحمن ، فيقول له : والله ما فعلتها إلا لأنك رجوتَ منه ما رجا صاحبكما من صاحبه. دَقّ الله بينكما عِطر مَنشِم. » (2)

وقد عبر علي بن أبي طالب عن عدم رضاه عن هذه النتيجة ، وتسليمه بالأمر الواقع ، قائلاً.

« لأُسَلِمّنَّ ما سلمت أمور المسلمين ، ولم يكن فيها جورٌ إلا عليّ خاصة » (3).

وفي رواية الطبري : أن علياً(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) قال حين بويع عثمان : ليس هذا بأول يوم تظاهرتم فيه علينا ، فصبر جميل والله المستعان علي ما تصفون ؟ والله ما وليته الأمر إلا ليردّهُ إليك ، والله كل يوم في شأن.

فقال عبد الرحمن : لا تجعل علي نفسك سبيلاً يا عليّ - يعني أمرَ عُمر أبا طلحة أن يضرب عُنق المخالف - فقام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) فخرج ، وقال :

1- حليف مخزوم 175.

2- شرح النهج 1 / 188. قال الأصمعي : منشم إسم امرأة كانت بمكة عطارة وكانت خزاعة وجرهم إذا أرادوا القتال تطيبوا من طيبها ، وكانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلي فيما بينهم ، فكان يقال : أشأم من عطر منشم ، فصار مثلاً. وقال أبو هلال العسكري في كتاب (الأوائل) ، استجيبت دعوة علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) في عثمان وعبد الرحمن فما ماتا إلا متهاجرين متعاديين .. ولما بني عثمان قصر طمار بالزوراء وصنع طعاماً كثيراً ودعا الناس إليه ، كان فيهم عبد الرحمن. فلما نظر للبناء والطعام قال : يابن عفان ، لقد صدّقنا عليك ما كنا نُكذّب فيك ، واني استعيذ الله من بيعتك ، فغضب عثمان وقال : اخرجه عني يا غلام ، فاخرجوه وأمر الناس أن لا يجالسوه ، فلم يكن يأتيه أحد إلا ابن عباس ، كان يأتيه فيتعلم منه القرآن والفرائض ، ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلمه ، فلم يكلّمه حتي مات. شرح النهج 1 / 196.

3- ثورة الحسين / 34.

سيبلغ الكتاب أجلَهُ.

فقال عمار : يا عبد الرحمن ، أما والله لقد تركته ، وانه من الذين يقضون بالحق وبه كانوا يعدلون.

وقال المقـداد : تالله ما رأيت مثل ما أُوتي إلي أهل هذا البيت بعد نبيّهم ، واعجباً لقريش ! لقد تركت رجلاً ما أقول ولا أعلم أن أحداً أقضـي بالعدل ، ولا أعلم ، ولا أتقي منه ! أما والله لو أجد أعواناً.

فقال عبد الرحمن : إتق الله يا مقداد ، فإني خائف عليك الفتنة.

لكن عليّاً(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) إلتفت نحو المقداد وعمار ، وقال ، مسلياً ومهدئاً لهما :

« اني لأعلم ما في أنفسـهم ، إن الناس ينظرون إلي قريش ، وقريش تنظر في صـلاح شأنها ، فتقول : إن وليَ الأمر بنو هاشم لم يخرج منهم أبداً ، وما كان في غيرهم فهو متداول في بطون قريش » (1).

1- شرح النهج 1 / 194.

خلفيات الشوري

ذكروا : أن معاوية بعث إلي ابن الحصين(1) ليلاً فخلا به وقال له : يا بن الحصـين ؛ بلغني أن عندك ذهناً وعقلاً ، فأخبرني عن شيءٍ أسألك عنه.

قال : سلني عما بدا لك.

قال : اخبرني مالذي شتت أمر المسلمين وفرّق أهوائهم ؟

قال : قتل الناس عثمان ! قال : ما صـنعت شيئاً ! قال : فمسير علي إليك وقتاله إياك ! قال : ما صنعت شيئاً ! قال : فمسير طلحة والزبير وعائشة ، وقتال عليّ إياهم ! قال : ما صنعت شيئاً.

قال : ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين.

قـال : فأنا أخبرك ، إنه لـم يشـتت بين المسـلمين ، ولا فرق أهوائهم ، ولا خالف بينهم إلا الشوري التي جعلها عمر إلي سـتة نفر .. فلم يكن رجـل منهم إلا رجاها لنفسه ، ورجاها له قومه ، وتطلعت إلي ذلك نفسه ، ولو أن عمر اسـتخلف عليهم كما اسـتخلف ابو بكر ، ما كان في ذلك إختلاف. (2)

1- ابن الحصـين : هو عمران بن حصـين الخزاعي ، أسلم عام خيبر وغزا عدة غزوات وكان صاحب راية خزاعة يوم الفتح - كذا في الإصابة. واعتزل حرب الجمل ، وكان قد نزل البصرة ، وفي سنة 45 للهجرة ولاه زياد قضاء البصرة ، وتوفي في سنة 52. كما في الكامل.

2- العقد الفريد : 4 - 281.

تحليل رائع من سياسي بارع خاض تجارب كثيرة في مضماري الملك والزعامة ، فمعاوية وان كان قد باع شرفه وآخرته بدنياه في خوضه حرباً ظالمةً ضد ثاني رجل في الدولة الإسلامية ، إلا أن ذلك لا يمنع من أن تكون له نظرة صائبة وعميقة حول بعض المفاهيم السياسية ! إنه هنا يكشف – في الحقيقة – سراً من الأسرار التي أودت إلي تمزق الأمة وتفككها ، فالشوري كانت واحدة من الأسباب التي ساهمت في ذلك ، وليست هي السبب الرئيسي.

هو هنا يطرح لمحدثه سبباً واحداً كان يراه علة الكل ، وعلة العلل في تفرق شمل الأمة ، يري الشوري – بما زرعت في قلوب أعضائها من طموح للخلافة دفعهم للتهيؤ لها – هي السبب الوحيد في ذلك !

وربما كان معاوية يلمز من حديثه هذا إلي علي ، وكأنه يريد أن يجعله في عداد هؤلاء الطامحين ، كما تكشف عن ذلك مواقفه من علي.

لكن الشيء الواضح من أخطاء هذه الشوري ، أنها بالإضافة إلي كونها حفزت أعضائها علي التهيوء للخلافة وأوجدت تكتلات حزبية مختلفة ومتناحرة ، فقد جعلت في نفس الوقت أناساً آخرين ليسوا من أعضائها ينحون هذا المنحي. « فقد طمح إلي الخلافة رجال غير رجال الشوري من قريش ، لأنهم رأوا أن بعض من رشحهم عمر لا يفضلونهم في شيء ، بل ربما امتازوا عليهم في أشياء كثيرة. » (1) ولعل معاوية واحد منهم.

1- ثورة الحسين / 33.

بدء المعارضة

فوجئ الناس – في اليوم الأول لبيعة عثمان – بأمور ما عهدوها من سيرة الشيخين أبي بكر وعمر ، وانما تفرد بها عثمان ، مما دفعهم لإعلان الاستياء والاستنكار ، جاعلين في حسابهم أنه بذلك يخرق العهد الذي اخذه عليه عبد الرحمن.

قال اليعقوبي : وخرج عثمان والناس يهنئونه ، فصعد المنبر ، فجلس في الموضع الذي كان يجلس فيه رسول الله ، ولم يجلس أبو بكر ولا عمر فيه ، جلس أبو بكر دونه بمرقاة ، وجلس عمر دون أبي بكر بمرقاة ، فتكلم الناس في ذلك ، فقال بعضهم : اليوم ولد الشر.

وروي : أنه خرج من الليلة التي بويع له في يومها لصلاة العشاء الآخرة وبين يديه شمعة ، فلقيه المقداد بن عمرو ، فقال ما هذه البدعة ! (1)

ولم تكن حكاية المنبر والشمعة هذه بذات بال لولا أنها خارجة علي سيرة الشيخين ، وأنها مؤشر لإرتكاب أمور أفضع وأخطر بكثير !.

لكن أمراً آخر حصل في ذلك اليوم أثار حفيظة المخلصين ، فدفعهم إلي الجهر بالمعارضة ، فقد تناهي إلي سمعهم قول لأبي سفيان في محضر الخليفة تستشم منه رائحة الإلحاد في دين الله ، وبداية التفكير في تحويل الخلافة الي ملك ، وذلك.

1- اليعقوبي 2 / 162 - 163.

أن عثمان – بعد البيعة – دخل رحله ، فدخل اليه بنو أمية حتي إمتلأت بهم الدار ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا .

قال : تلقّفوها يا بني أميّة تلقُّف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ، ولا جنّةٍ ، ولا نار ، ولا بعث ، ولا قيامة ! » فانتهره عثمان وساءه بما قال ، وأمر بإخراجه.

فدخل عبد الرحمن بن عوف علي عثمان ، فقال له : ما صنعت ! فوالله ما وُفقت حيث تدخل رحلك قبل ان تصعد المنبر ، فتحمد الله وتثني عليه ، وتأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، وتعدَ الناس خيراً.

فخرج عثمان ، فصعد المنبر ، فحمد الله واثني عليه ، ثم قال : هذا مقام لم نكن نقومه ، ولم نُعدّ له من الكلام الذي يقام به في مثله ، وسأهيء ذلك ان شاء الله .. (1)

وشاعت مقالة أبي سفيان بين المسلمين ، فساءهم ذلك ، فكان أول من أعلن استنكاره وغضبه ، عمار بن ياسر ، فأقبل في اليوم التالي حتي دخل المسجد والناس مجتمعون فيه ، فقام وقال :

« يا معشر قريش ؛ أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة ، وههنا مرة ، فما أنا بآمنٍ من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله. (2)

وخرج المقداد في ذلك اليوم ، فلقي عبد الرحمن بن عوف ، فأخذ بيده وقال :

1- شرح النهج 9 / 53 – 54.

2- مروج الذهب 2 / 343.

إن كنت أردت – بما صنعت – وجه الله ، فأثابك الله ثواب الدنيا والآخرة ، وإن كنت إنما أردت الدنيا ، فاكثر الله مالك !

فقال عبد الرحمن : إسمع ، رحمك الله ، إسمع ! قال : لا أسمع والله. وجذب يده من يده ، ومضي حتي دخل علي علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، فقال :

قم ، فقاتل حتي نقاتل معك. قال علي : فبمن أقاتل ؛ رحمك الله ؟!

وأقبل عمار بن ياسر ينادي :

يا ناعي الإسلام قم فإنعه * قد مات عرفٌ وبدا نُكرُ

أما والله لو أن لي أعواناً لقاتلتهم ! والله لئن قاتلهم واحد ، لأكونن له ثانياً !

فقال علي : يا أبا اليقظان ، والله لا أجد عليهم أعواناً ، ولا احب أن أعرضكم لما لا تطيقون. (1) وجاءت حادثة العفو عن عبيد الله بن عمر « قاتل الهرمزان » فزادت الطين بلة.

قال اليعقوبي : واكثر الناس في دم الهرمزان ، وإمساك عبيد الله بن عمر ! وصعد عثمان المنبر ، فخطب الناس ، ثم قال :

آلا إني ولي دم الهرمزان ، وقد وهبته لله ولعمر !

فقام المقداد بن عمرو ، فقال : إن الهرمزان مولىً لله ولرسوله ، وليس لك أن تهب ما كان لله ولرسوله.

قال : فننظر ، وتنظرون. ثم اخرج عثمان عبيد الله بن عمر من المدينة إلي الكوفة ، وأنزله داراً فنسب الموضع إليه فقيل : « كويفة ابن عمر .. » (2)

1- شرح النهج 9 / 55 – 56 – 57.

2- اليعقوبي 2 / 163 – 164.

قصة الهرمزان ، ومقتله علي يد بن عمر

كان الهرمزان أحد ملوك فارس ، وكان قد عقد صلحاً مع المسلمين في السنة السادسة عشرة للهجرة ، ما لبث أن نقضه فيما بعد بتحريض من يزدجرد ، وعلم المسلمون بذلك فجهزوا جيشاً لمحاربته ومحاربة من تعاقد معه علي ذلك. فأسر ، وأقبلوا به الي المدينة مكتوفاً وعليه تاجه وحليته ، فأراد عمر أن يضرب عنقه ، فأعلن إسلامه في قصة طريفة.

فقد روي : أن عمر قال له : « يا هرمزان ، كيف رأيت وبال الغدر » ؟

فقال : يا عمر ، إنا وإياكم في الجاهلية كنا نغلبكم ، إذ لم يكن الله معكم ، ولا معنا ! فلما كان الله معكم غلبتمونا.

قال : فما عذرك في انتقاضك مرةً بعد مرة ؟!

قال : أخاف إن قلتُ أن تقتلني. قال : لا بأس عليك ، فاخبرني.

فاستسقي ماءً ، فأخذه ، وجعلت يده تُرعَد. قال : مالك ؟ قال : أخاف أن تقتلني وأنا اشرب.

قال : لا بأس عليك حتي تشربه. فألقاه من يده ، فقال : ما بالك ! أعيدوا عليه الماء ولا تجمعوا عليه بين القتل والعطش.

قال : كيف تقتلني ، وقد أمنتني !؟

قال : كذبت ! قال : لم أكذب.

فقال أنس : صدق يا أمير المؤمنين. قال : ويحك يا أنس ! أنا أؤمن قاتل مجزأة بن ثور والبراء بن مالك ! والله لتأتيني بالمخرج أو لأعاقبنّك !

قال : إنك قلت : « لا بأس عليك حتي تخبرني ولا بأس عليك حتي تشرب » ! وقال له ناس من المسلمين مثل قول أنس.

فأقبل علي الهرمزان ، فقال : تخدعني ! والله لا تخدعني إلا أن تُسلم ، فأسلم ، ففرض له الفين وأنزله المدينة ». (1)

فلما قُتل عمر ، ظن ابنه عبيد الله أن الهرمزان كان شريكاً لأبي لؤلؤة في قتل والده ، فعمد إلي الهرمزان فقتله ، وقتل معه جفينة ابنة ابي لؤلؤة.

« وأراد عبيد الله أن لا يترك سبيّاً بالمدينة يومئذٍ إلا قتله ، فاجتمع المهاجرون الأولون ، فأعظموا ما صنع عبيد الله من قبل هؤلاء ، واشتدوا عليه وزجروه عن السبي.

فقال : والله لأقتلنهم وغيرهم – يعرض ببعض المهاجرين – فلم يزل عمرو بن العاص يرفق به حتي دفع إليه سيفه .. (2) – »

فلما استخلف عثمان ، دعا المهاجرين والأنصار ، فقال : اشيروا علي في قتل هذا الذي فتق في الدين ما فتق ! فاجمع راي المهاجرين والأنصار علي كلمة واحدة يشجعون عثمان علي قتله. وقال جل الناس : أبعد الله الهرمزان وجفينة ، يريدون يتبعون عبيد الله أباه !!.

وعن المطلب بن عبدالله قال : قال علي لعبيد الله بن عمر : ما كان ذنب بنت أبي لؤلؤة حين قتلتها ؟ فكان رأي علي حين إستشاره عثمان ، ورأي الأكابر من أصحاب رسول الله علي قتله ، لكن عمرو بن العاص كلم عثمان

1- شرح النهج 12 / 114.

2- الغدير 8 / 132.

حتي تركه. فكان علي يقول : لو قدرت علي عبيد الله بن عمر وليَ سلطانٌ لإقتصصتُ منه. (1)

أما عثمان ، فحين بلغه مقالة علي تلك ، قام فصعد المنبر ، فحمد الله وأثني عليه ، ثم قال :

« أيها الناس ، إنه كان من قضاء الله ان عبيد الله بن عمر بن الخطاب ، أصاب الهرمزان وهو رجل من المسلمين ليس له وارثٌ إلا الله والمسلمون ؟ وأنا إمامكم ، وقد عفوت ، أفتعفون عن عبيد الله بن خليفتكم بالأمس ؟ قالوا نعم. فعفا عنه. (2)

وفي ذلك اليوم قال المقداد مقالته الآنفة.

فلما بلغ علياً – ما قاله عثمان – تضاحك ، وقال : سبحان الله ! لقد بدأ بها عثمان ! أيعفو عن حق إمرئ ليس بواليه ! تالله إن هذا لهو العجب (2) !

وكان عبيد الله قد حبس في بيت ، وقيل في السجن ، فأطلقه عثمان وكان رجلٌ من الأنصار يقال له : زياد بن لبيد البياضي ، إذا رأي عبيد الله بن عمر قال :

ألا يا عبيد الله مالك مهربٌ * ولا ملجأٌ من ابن أروي (3) ولا خفرْ

أصبت دماً والله في غير حِلّهِ * حراماً وقتل الهرمزان له خطر

علي غير شيء غير أن قال قائل * أتتهمون الهرمزان علي عمر

فقال سفيهٌ والحوادث جمّة * نعم ، أتهمه قد أشار وقد أمر

وكان سلاح العبد في جوف بيته * يقلبه والأمر بالأمر يعتبر

1- راجع الغدير 8 / 132 إلي 135.
2- راجع شرح النهج 9 / 54 – 55.
3- ابن أروي : هو عثمان.

فشكا عبيد الله بن عمر إلي عثمان زياد بن لبيد وشعره ، فدعا عثمان زياداً فنهاه ، فقال زياد في عثمان :

أبا عمرو عبيد الله رهنٌ * فلا تشكك بقتل الهرمزان

فإنك إن غفرت الجرم عنه * واسباب الخطا فرسا رهانِ

أتعفو ، إذ عفوتَ بغير حقٍ * فما لك بالذي تحكي يدانَ

فدعا عثمان زياداً ، فنهاه وشذ به. (1)

ولما اكثر الناس التحدث في دم الهرمزان ، أمر عثمان عبيد الله بالرحيل إلي الكوفة وأقطعه فيها داراً وأرضاً فسمي ذلك الموضع ب « كويفية بن عمر » وحين ولي الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) الخلافة ، طلب عبيد الله فهرب إلي معاوية ، فقال(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) : لئن فاتني في هذا اليوم لا يفوتني في غيره !

فلما كانت حرب صفين قتل فيها. وقيل : إن علياً هو الذي قتله ، ضربه ضربةً فقطع ما عليه من الحديد حتي خالط سيفُه حشوة جوفه. (2)

1- راجع الكامل 3 / 75 - 76. وشذ به : إذا قُرئت كلمة واحدة يكون معناها : طرده. واذا قرئت كلمتين ، هكذا : شذ به : يكون المعني عزله عن الناس.
2- راجع مروج الذهب 2 / 385.

بين المقداد وعثمان

المصادر التاريخيـة لا تشـير إلي أي لون من ألوان الخلاف بين عثمان والمقـداد قبل حادثـة الشوري ، لا من قريب ولا من بعيـد ، حتي إذا بـدأت الشوري بـدأ معها الخلاف بينهما ! وكان خلافاً يحسـبه الغافل أنه ناجم عن عداء قديم مستشـرٍ بينهما ، سـيما إذا أخذنا بعين الإعتبار مواقف المقـداد الصـلبة من عثمان في تلك الفترة ، غير أن نظرة تأمل منا في نوعية هذا الخلاف كافية في إيقافنا علي حقيقة الأمر ، من أن ما جري بينهما لم يكن مرده لعداءٍ شخصي ، بل هو خلاف مبدئي تطور فيما بعد ليأخذ صفة العداء والجفوة بين الطرفين.

واضـحٌ أن الخلافـة أمانة عظمي في عنق متقلدها ، ومسؤولية كبري في عاتقه عليه أن ينهض بأعبائها ، وإلا فهي الخيانة ! وبيعة عثمان ؛ أخذ فيها عليه شـرطان صـريحان غير كتاب الله ، هما : « سنة رسول الله وسيرة الشيخين ابي بكر وعمر (رض) بهما تصح بيعته وبدونهما لا بيعة قائمة ولا خلافة.

تُري ! أيطوي الصـحابة كشـحاً عن بعض التصـرفات المخالفة – صـراحةً – لسـنة الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أو لسـيرة الشـيخين. يرون الخليفـة متلبسـاً بهـا ؟! بالطبع ، لا ! إذا كانوا مخلصـين لـدينهم ، صادقين في تـدينهم ؛ وهنا تكمن نقطـة الخلاف بينه وبينهم بشـكل عام. والمقداد واحد من الصحابة المخلصين لا يمكنه بحال السكوت أزاء حالات كهذه ، لذا ،

ص: 168

فإنه كان لا يتواني في توجيه النقد له وإيقافه علي الأخطاء التي يرتكبها ، أو التي تُرتكب في حضرته.

من ذلـك : أن عثمان بينما كان جالساً ذات يوم وحوله بعض وجوه قريش ، إذ أقبل رجلٌ أحسبه كان شاعراً يتكفف اعطيات الملوك ، فجعل يمدح عثمان ، وكان المقداد حاضراً ، فجثا علي ركبتيه وجعل يحثو الحصباء في وجه ذالك الرجل ! وتعجب عثمان من تصرف المقداد هذا ، والتفت إليه قائلاً : ما شأنك ؟

فقال : قال رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب ! (1)

إن حادثـة بسـيطة من هـذا النوع – في نظري ونظرك – هي غايـة في الخطورة إذا صـدرت في مجلس كمجلس الخليفة ، لأنها خرق واضـح للسـنة ، لاـ يمكن لصـحابي كالمقـداد أن يسـكت عليها ، فما ظنك إذن بما هو أعظم من هـذا وأفظع ؟! كتعطيل الحـدود ، واقرار الأيـدي العادية. والإسـراف في مال الله ووضعه في غير مستحقيه ، كإعطاء مروان خمس خراج إرمينية ! واقطاعه فدك(2) وكانت فاطمة بنت الرسول قد

1- كما جاء في صحيح مسلم ج 4 ك 53 ح 69 عن همام بن الحارث قال : إن رجلاً جعل يمدح عثمان ، فعمد المقداد فجثا علي ركبتيه – وكان رجلاً ضـخماً – فجعل يحثو في وجهه الحصـباء ، فقال له عثمان : ما شأنك ؟ قال : إن رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قال : إذا رأيتم المداحين فاحثوا في وجوههم التراب.

2- فـدك : قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان ، أفاءها الله علي رسوله ، فكانت خالصةً له لأنه لم يُوجَف عليها بخيل ولا ركاب. وذلك : أن النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بعـد فراغه من غزوة خيبر قـذف الله الرعب في قلوب أهل فـدك ، فبعثوا الي الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) انهم مسـتعدون لتسـليمه الأـرض وما يملكونه علي أن يحقن دماءهم ، وعرضوا عليه ان يعملوا في الأرض بنصف الناتـج ، فصالحهم علي ذلك. (راجع معجم البلـدان 4 / 238 إلي 240) وغيره. وهذا الصـنف من الأراضـي يسـمي (الأنفال) وسـماه الفقهاء (فيئا) ويعد من الأنفـال بـالمفهوم الفقهي : كل ما أُخـذ من دار الحرب بغير قتال : وكل أرض جلا عنها أهلها بغير قتال أيضاً ، والأرض الموات ، والآجام ، وبطون الأوديـة ، وقطايع الملوك ، وميراث من لا وارث له والأنفال في الكتاب العزيز هي لله وللرسول خالصـة ، قال تعالي : (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) وعلي هـذا فإن فـدك مما يملكه النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) خاصـة وله أن يقطعها لمن يشاء ، وقد وهبها النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لإبنته فاطمة 3 حين نزلت الآيـة الكريمة : وآت ذا القربي حقه ؛ كما عن تفسـير « الدر المنثور – للسـيوطي » فتصرفت بها في حياة أبيها ؛ (الميزان في تفسير القرآن 9 ص 5 وما بعدها) و (سيرة المصطفي 559) ولما توفي الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) منعت الزهراء فدكاً ، وكان لها مع الخليفة أبي بكر موقف مشـهود معروف ، حيث احتجت عليه تارة بالنحلة ، واخري بالميراث ، وثالثة بسـهم ذوي القربي. وكـان الخليفـة ابو بكر يأخـذ غلتهـا فيـدفع لآل النبي ما يكفيهم ، وكان عمر بعـده يفعل مثل ذلك ، فلما جاء عثمان « أقطعها لمروان بن الحكم ». كما يسـتفاد ذلك من « العقـد الفريد 4 / 283 وشرح النهج 1 / 198. ولما ولي معاوية جعلها ثلاثة أثلاث ، بين مروان وعمرو بن عثمـان ويزيـد بن معاويـة ، وذلـك بعـد وفـاة الإمـام الحسن(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ولم يزالوا يتـداولونها إلي أن خلصت كلها لمروان أيام حكمه ، فوهبها لعبـد العزيز إبنه ، وعبـد العزيز بـدوره وهبها لإبنه عمر ، ولما ولي عمر بن عبـد العزيز كانت أول ظلامةٍ ردها ، حيث دعـا الحسن بن الحسن بن علي ، وقيـل بل دعا علي بن الحسـين زين العابـدين ، فردها عليه وكان يقول في ذلك : « أشـهدكم إني قد رددتها إلي ما كانت عليه في عهـد رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) » العقد الفريد 4 / 435 فكانت بيـد ابناء فاطمة مدة حكمه. فلما ولي يزيد بن عاتكة قبضـها منهم ، فصارت في أيدي بني مروان كما كانت من قبل. فلما ولي أبو العباس السـفاح ، ردها علي عبدالله بن الحسـن

بن الحسن بن علي. ثم أخذها المنصور ، ثم ردها إبنه المهدي. ثم أخذها موسـي بن المهدي وهارون أخوه ، فلم تزل في أيديهم حتي ولي المأمون ، فردها علي الفاطميين. وذلك : أن المأمون جلس يوماً للمظالم ، فأول رقعـةٍ وقعت في يده نظر فيها وبكي وقال للذي علي رأسه : نادِ : أين وكيل فاطمـة ؟ فقام شـيخ عليه دُراعـة وعمامـة ، وخُف تعزي ، فتقدم ؛ فجعل يناظره في فدك والمأمون يحتج عليه وهو يحتج علي المأمون ! ، ثم أمر المأمون أن يسـجل لهم بها ، فكُتب السـجل وقرئ عليه ، فأنفـذه ! فقام دعبل الخزاعي وانشد الأبيات التي أولها : أصـبح وجه الزمان قـد ضـحكا * برد مأمون هاشم فـدكا فلم تزل في أيديهم حتي حكم المتوكل فأقطعها عبدالله بن عمر البازيار ، وكان فيها آنذاك إحدي عشر نخلة غرسها رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بيده ، وكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها ، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصـلونهم فيصـير اليهم من ذلك مال جزيل ؛ فوجه عبـدالله البازيار رجلاً يقال له : بشـران بن أميـة الثقفي الي المدينة ، فقطع ذلك النخل ،فرجع الي البصرة فَفُلِج !! راجع (شرح النهج 16 / 207 إلي 217).

طلبتها من أبي بكر بـدعوي النحلة او الميراث ، فدفعت عنها ، وإعطاء ابن أبي سـرح جميع ما أفاء الله علي المسـلمين من فتح افريقية. (1) إلي غير ذلك مما يضـيق به المقام والتي كان آخرها إرساله إلي ابن أبي سرح – واليه علي مصر – كتاباً يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين ! (2) مما لم يدع مجالاً للسكوت أو الإغضاء ، فكان آخر ما قام به المقداد في هذا المضمار – هو وتسعة نفر من الصحابة – أن وجهوا الي عثمان كتاباً يحتوي علي سـرد بعض الأمور التي خالف بها سـنّة رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وسنّة صاحبيه – كما يقول ابن قتيبة –. وتعاهدوا ليدفعن الكتاب في يد عثمان ! ومضي عمار بن ياسر بالكتاب ، فكان الرد أن ضُرب وفتقت بطنه (3).

إن هذه المواقف من المقداد حيال تصـرفات الخليفة ، تركت ولا شك أسوأ الأثر في نفسه وعرضـته لغضـبه وسـخطه ، وحقد بني أمية حتي مات وعثمان ساخط عليه ، أو بالاحري هو ساخط علي عثمان كما روي ذلك

1- للتفصيل ، راجع كتاب (ابو ذر الغفاري) من ص 107 إلي 114 وشرح النهج 1 / 198 وما بعدها.

2- مروج الذهب 2 / 344 وغيره من المصادر.

3- راجع الإمامة والسياسة 1 / 35.

عنه حيث قال للزبير :

« أتراني أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو عليّ ساخط ! » (1).

ص: 172

1- سفينة البحار ، مادة : قدد.

تَشيُّع المقداد ودعوته الناس لعليّ

في قبال هذه المواجهة الصريحة ، كان للمقداد مع الخليفة مواجهة مبطنة – إذا صح التعبير – إعتمد فيها اسلوب الدعوة لعلي بكل صراحة ووضوح ، وهو الأسلوب الأشد تأثيراً في تهييج مشاعر المسلمين وإثارة عواطفهم ، فقد كان يري أن الخلافة حق مشروع لعليٍّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) وثابت له دون غيره وعلي هذا الأساس إنطلق في دعوته له ، وكان جريئاً في ذلك غير متكتم ولا مبالٍ بالنتائج مهما كانت ؛ وكان يتخذ من مسجد الرسول(صلي الله عليه و آله) في المدينة مقراً لبَثِّ دعوته تلك ، مبتدأً بعرض ظلامة الإمام علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) حول هذا الأمر ثم يطرح أمام الجمهور فضائله وكراماته وسابقته منتهياً ببيان أحقيته في الخلافة بأسلوب فريد وكأنه محام بارع أسند إليه القيام بهذا الدور.

روي بعضهم ، فقال : دخلت مسجد رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فرأيت رجلاً جاثياً علي ركبتيه يتلهّفُ تلهُّفَ من كأن الدنيا كانت له فسُلبها ، وهو يقول :

واعجباً لقريش ! ودفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيهم وفيهم أول المؤمنين وابن عم رسول الله ، أعلم الناس وافقههم في دين الله وأعظمهم فناءً في الإسلام وأبصرهم بالطريق وأهداهم للصراط المستقيم !

والله لقد زوُوها عن الهادي المهتدي ، الطاهر النقي ، وما أرادوا

إصلاحاً للأمة ، ولا صواباً في المذهب ، ولكن آثروا الدنيا علي الآخرة فبعداً وسحقاً للقوم الظالمين.

قال : فدنوت منه وقلت : من أنت يرحمك الله ، ومن هذا الرجل ؟

فقال : أنا المقداد بن عمرو ، وهذا الرجل علي بن أبي طالب !

قال : فقلت : آلا تقوم بهذا الأمر ، فاعينك عليه ؟!

فقال : يا بن أخي ، إن هذا الأمر لا يجري فيه الرجل والرجلان !! (1)

وكان يشاركه في هذا الرأي جماعة ، منهم : أبو ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم.

قال : ثم خرجت فلقيتُ أبا ذر فـذكرتُ له ذلك ، فقال : صـدق أخي المقـداد ! ثم أتيتُ عبـدالله بن مسـعود ، فـذكرت ذلك له ، فقال : لقد أُخبرنا ، فلم نألُ. (1)

وكان هذا الموقف يتكرر منه أكثر من مرة وفي اكثر من مناسبة بلهجةٍ تختلف ليناً وشدةً باختلاف الظروف.

روي أحمد بن عبد العزيز الجواهري .. عن المعروف بن سويد ، قال :

كنت بالمدينة أيام بويع عثمان ، فرأيت رجلاً في المسجد جالساً وهو يصفق باحدي يديه علي الأخري والناس حوله ، ويقول :

1- اليعقوبي 2 / 163.

واعجباً من قريش واستئثارهم بهـذا الأمر علي أهل هـذا البيت ، معـدن الفضل ، ونجوم الأرض ، ونور البلاد ! والله إن فيهم لرجلاً ما رأيت رجلاً بعد رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أولي منه بالحق ، ولا أقضي بالعدل ولا آمر بالمعروف ولا أنهي عن المنكر !

فسألت عنه ، فقيل : هذا المقداد. فتقدمت إليه وقلت : أصلحك الله ؛ من الرجل الذي تذكر !؟

فقال : ابن عم نبيك رسول الله(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) علي بن أبي طالب.

قال : فلبثت ما شاء الله ، ثم لقيت أبا ذر ; فحدثته بما قال المقداد. فقال : صدق ؛ قلت : فما يمنعكم أن تجعلو هذا الأمر فيهم ؟!

قال : أبي ذلك قومهم :

قلت : فما يمنعكم أن تعينوهم ؟!

قال : مَهْ (1) ؟ لا تقل هذا ، إياكم والفرقة والإختلاف (2) !!

ومرةً ثالثـةً نراه ينهج نهجاً أشد لا يخلو من القسوة ؛ والصـراحة الزائدة في التعبير عما يجول في نفسه ، أزاء هذا الأمر ، واضـعاً خصـمه أمام الأمر الواقع غير متحرج ولا مداهن كما حدث ذلك بينه وبين عبد الرحمن بن عوف – علي ما جاء في شرح النهج –.

قال جندب(3) بن عبدالله الأزدي : كنت جالساً بالمدينة حيث بويع

1– مَهْ : اكفف.

2– شرح النهج 9 / 21.

3– جنـدب : بن عبـدالله بن الأرقم الأزدي الغامـدي .. يقال له جندب الخير (الإصابة / 248) وكان جنـدب بعد لقائه هذا قد ذهب الي العراق واقام فيها وكان ينشـر فضائل علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، يقول « فكنت أذكر فضل علي فلا أعدم رجلاً يقول لي ما اكره ، وأحسن ما أسـمعه قول من يقول : دع عنك هذا وخذ ما ينفعك ؟ فأقول : إن هذا مما ينفعني وينفعك ؟ فيقوم عني ويدعني الخ .. راجع النهج 9 / 58.

عثمان فجئت ، فجلست الي المقـداد بن عمرو فسـمعته يقول : والله ما رأيت مثل ما أتي إلي أهل هذا البيت ! – وكان عبد الرحمن بن عوف جالساً – فقال : وما أنت وذاك يا مقداد ؟!

قـال المقـداد : والله إني أحبهم لحب رسول الله(صـلي الله عليه و آله) واني لأعجب من قريش وتطاولهم علي الناس بفضل رسول الله ثم انتزاعهم من أهله !

قال عبد الرحمن : أما والله ، لقد أجهدتُ نفسي لكم.

قال المقـداد : أما والله لقد تركت رجلاً من الذين يأمرون بالحق وبه يعدلون ؛ أما والله لو أن لي علي قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدرٍ وأُحد !!

فقال عبد الرحمن : ثكلتك أُمك ! لا يسمعن هذا الكلام الناس ؛ فإني أخاف أن تكون صاحب فتنةٍ وفرقةٍ.

قـال : المقـداد : إن من دعـا إلي الحق وأهله وولاـة الأمر لا يكون صاحب فتنـةٍ ، ولكن من أقحم الناس في الباطل وآثر الهوي علي الحق ، فذلك صاحب الفتنة والفرقة ! – يعرّض بعبد الرحمن –.

قال : فتربّدَ وجه عبد الرحمن ، ثم قال : لو أعلم أنك إياي تعني ، لكان لي ولك شأن !.

قال : المقداد إياي تهدد ، يابن أم عبد الرحمن ؟ ثم قام عن عبد الرحمن فانصرف.

قال جندب : فاتبعته ، وقلت له : يا عبدالله ، أنا من أعوانك !

فقال : رحمك الله ؛ إن هذا الأمر لا يغني فيه الرجلان ولا الثلاثة ! .. (1)

هذه هي بعض مواقف المقداد ، وتلك هي آراؤه !! انها لا تدع مجالاً للشك في أنه كان أحد المبرزين الذين لم يكونوا شيعة فقط ، بل نهضوا بالدعوة الي التشيع أو بالدعوة لعليّ(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) – ما شئت فعبر – علي أوسع نطاق وبأصرح عبارة ، ولم تكن مواقفه وآراؤه تلك مرهونةً بعهد معين كما ربما يتصور البعض ، بل كان هذا رأيه في علي منذ وفاة النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لم يتغير ولم يتبدل قط. فقد ورد في ذلك قول الشيخ المفيد ; تعالي :

« فاختلفت الأمة في امامته يوم وفاة النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فقالت شيعته وهم : بنو هاشم كافة .. وسلمان وعمار .. والمقداد .. (2).

وفي تاريخ اليعقوبي : في ذكر الذين مالوا مع علي بن أبي طالب ، عدّ منهم : « المقداد بن عمرو .. » (3) بل كان أحد الذين أطلق عليهم لفظ شيعة في عهد النبي(صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) كما يقول السجستاني وغيره (4) ولا أري موجباً للإطالة في هذا الموضوع لأنه أصبح معروفاً لا يخفي علي من « كان له قلب » !

1- شرح النهج 9 / 56 وما بعدها.

2- الارشاد / 10.

3- اليعقوبي 2 / 124.

4- للتفصيل راجع كتاب (أبو ذر) للمؤلف / 54 وما بعدها.

علي لسان النبي(صلي الله عليه و آله) والأئمة

الأحاديث الواردة حول بيان فضل المقداد – علي لسان الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) – جاءت شاملة له ولبعض الصحابة رضي الله عنهم ، وشذ أن تجد حديثاً مختصاً بالمقداد وحده ، لذلك فإني أقتصر في هذا المورد علي ذكر الفقرات – من الحديث – التي تخص المقداد.

من ذلك ، ما ورد عن جابر بن عبدالله الأنصاري ، قال : سألت رسول الله عن سلمان الفارسي .. إلي أن قال قلت : فما تقول في المقداد ؟

قال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : وذاك منا ، أبغض الله من أبغضه ، وأحب من أحبه ! (1)

وعنه (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أنه قال :

حذيفة بن اليمان من أصفياء الرحمن .. إلي أن قال : والمقداد بن الأسود من المجتهدين.

وعن أنس : ان النبي(صلي الله عليه و آله) سمع رجلاً يقرأ ويرفع صوته بالقرآن ! فقال (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : أوّاب(2). وسمع آخر يرفع صوته ، فقال : مُرَاءٍ ! فنظرنا ، فإذا الأول المقداد بن عمرو. (3)

1- معجم رجال الحديث 18 / 368.

2- أواب : تائب.

3- الاستيعاب (علي الإصابة 3 / 475).

وعنه (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : الجنة تشتاق إليك يا علي والي عمار وسلمان وأبي ذر والمقداد.

وعنه (صَلَّي اَللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) : إن الله أمرني بحب أربعة إلي أن قال : والمقداد بن الأسود ، وأبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي (1).

وقد ورد حول قوله تعالي : (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربي). أن الإمام الصادق قال : فوالله ما وفي بها إلا سبعة نفر (2) وعد المقداد واحداً منهم.

وجاء في حديث آخر له(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) :

فأما الذي لم يتغير منذ قبض رسول الله(صـلي الله عليه و آله) حتي فارق الدنيا طرفة عين فالمقداد بن الأسود ، لم يزل قائماً قابضاً علي قائم السيف عيناه في عيني أمير المؤمنين(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، ينتظر متي يأمره فيمضي. (2)

1- هذان حديثان مشهوران.

2- معجم رجال الحديث. والبحار 22 / 322.

وفاته رضي الله عنه

نيف وثلاثون سنة ، قضاها أبو معبد فارساً في ميادين الجهاد ، ابتداءً بغزوة بدر ، وانتهاءً بفتح مصر ! وقد كانت هذه السنين هي سني التأسيس ، لذلك كانت صعبةً ومرّةً قاسيةً كابد فيها المسلمون المصاعب والمتاعب ، فكان نصيب أبي معبد منها الحظ الأوفر والكأس الأوفي حيث لم تخلو منه ساحة جهاد علي ما نعهد ، فقد ورد في ذلك أنه « شهد المشاهد كلها مع رسول الله (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وبعده إلي أن أدركته الوفاة .. » (1).

وكانت وفاته في سنة 33 للهجرة أو أقل – علي اختلاف الروايات – بعد أن شهد فتح مصر ، وقد بلغ من العمر سبعين سنة (2).

فقد كانت له أرض في مكان قريب من المدينة يقال له : الجرف(3) وكان يتعاهدها زراعةً وسقياً يقضي فيها أوقات فراغه مالم يؤذن بجهاد ! وفي ذات يوم تناول جرعةً من زيت « الخروع » فأضرت به ، فمات منها (4). فنقل علي أعناق الرجال حيث دفن بالبقيع (5) وكان قد أوصي

1- راجع الإصابة 3 / 454 وتهذيب الأسماء 2 / 112 والغدير 9 / 116.

2- نفس المصدر.

3- الجرف : كل ما جرفته السيول من الأرض يقال له جرف.

4- الطبقات الكبري لابن سعد 3 / 163 وقيل : غير ذلك.

5- الإصابة وغيرها.

إلي عمار بن ياسر ، فصلي عليه ولم يؤذن عثمان به ، فلما بلغ عثمان موته ، جاء حتي أتي قبره ، فقال : رحمك الله ، إن كنتَ وإن كنتَ يثني عليه خيراً ! فقال الزبير بن العوام :

لالفينك بعد الموت تندبني

وفي حياتي م زودتني زادي (1)

معرضاً بالعداء الذي كان بينه وبين المقداد ، فقال عثمان :

يا زبير ؛ تقول هذا ؟! أتراني أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب محمد (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وهو عليّ ساخط !! (2)

وكان عمار قد صلي علي ابن مسعود من قبل ولم يؤذن به عثمان ، فساءه ذلك واشتد غضبه علي عمار ، وقال : « ويلي علي ابن السوداء ! أما لقد كنت به عليما » (3).

1- الطبقات 3 / 163 واليعقوبي 2 / 171.

2- سفينة البحار مادة : قدد.

3- اليعقوبي 2 / 171.

أسماء الذين رووا عنه

روي عنه من الصحابة :

علي(عَلَيْهِ السَّلاَمُ) ، وابن عباس ، والمستورد بن شداد ، وطارق بن شهاب ، وغيرهم.

ومن التابعين :

عبد الرحمن بن أبي ليلي ، وميمون بن أبي شبيب ، وعبد الله بن عدي بن الخيار ، وجبير بن نفير ، وغيرهم. (1)

1- أسد الغابة 3 / 410 وغيره من كتب التراجم.

المصادر والمراجع

أ – القرآن الكريم

1 – الإصابة (ابن حجر العسقلاني) (852 ه) أوفست عن ط مصر 1328 ه.

2 – الإستيعاب (ابن عبد البر) يوسف بن عبدالله (463 ه) علي هامش الإصابة المتقدم.

3 – أسد الغابة (ابن الأثير) علي بن محمد (630 ه) اوفست ، طهران.

4 – إعلام الوري (الطبرسي) (الفضل بن الحسين – 600 ه تقريباً) بيروت – دار التعارف 1399 – 1979.

5 – أبو ذر الغفاري (للمؤلف) دار الفنون ، بيروت ، 1980 – 1400.

6 – أنساب الأشراف (البلاذري) أحمد بن يحي ، بيروت – دار النشر للجامعيين.

7 – الإمامة والسياسة (ابن قتيبة الدنيوري) عبدالله بن مسلم (276 ه) بيروت – مؤسسة الحلبي.

8 – بحار الأنوار (محمد باقر المجلسي) دار الكتب الإسلامية ، طهارن 1385 ه.

9 – تاريخ الأمم والملوك (الطبري) أوفست ، بيروت.

10 – تاريخ اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) بيروت – دار صادر – دار بيوت 1379 – 1960.

11 – تاريخ الخلفاء (السيوطي) جلال الدين – (911 ه) بيروت – دار الفكر.

12 – تهذيب الأسماء (النوري) محي الدين بن شرف – (676 ه) بيروت – دار الكتب العلمية.

13 – تصنيف نهج البلاغة (لبيب بيضون) توزيع دار القلم – بيروت.

14 – ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية (محمد مهدي شمس الدين) بيروت – دار التعارف 1399 ه – 1979.

15 – حليف مخزوم (صدر الدين شرف الدين) بيروت – دار الكتاب الإسلامي 1399 ه – 1979.

16 – ذخائر العقبي (الطبرسي) الحسين بن الفضل (600 ه تقريباً) بيروت – مؤسسة الأعلمي 1392 ه – 1973 م.

17 – رجال بحر العلوم (السيد محمد مهدي بحر العلوم 1212 ه) – النجف ، الآداب 1385 – 1965.

18 – السيرة النبوية (ابن هشام) عبد الملك (213 ه) بيروت – دارالجيل 1975 م.

19 – سيرة المصطفي (السيد هاشم معروف) بيروت – دار القلم 1975.

20 – صفينة البحار (الشيخ عباس القمي) أوفست / طهران.

21 – شرح نهج البلاغة (ابن ابي الحديدي عز الدين) (656 ه) تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم – مصر – دار احياء التراث العربي 1385 ه – 1965.

22 – صحيح مسلم (مسلم بن الحجاج 261 ه) بيروت – دار الفكر 1398 – 1978.

23 – الطبقات الكبري (ابن سعد) محمد 230 ه بيروت – دار صادر ودار بيروت ط 1975.

24 – العقد الفيد (ابن عبد ربه) أحمد بن محمد (327 ه) ط أو فست – مطبعة لجنة التأليف والترجمة.

25 – الغدير (الاميني) عبد الحسين أحمد – بيروت – دار الكتاب العربي 1397 ه – 1977 ط الرابعة.

26 – الفرج بعد الشدة (القاضي التنوخي) تحقيق عبود الشالجي – بيروت.

27 – ترتيب القاموس المحيط (الطاهر أحمد الزاوي) بيروت – دار الكتب العلمية – دار المعرفة – 1399 – 1979.

28 – الكامل في التاريخ (ابن الأثير) علي بن محمد 630 ه / بيروت دار صادر – دار الكتاب.

29 – معجم قبائل العرب دار اعلم للملايين – بيروت – 1388 – 1968.

30 – معجم البلدان (ياقوت بن عبدالله الحموي 626 ه) بيروت – دار احياء التراث العربي.

31 – معجم رجال الحديث (السيد الخوئي) – النجف – الآداب.

32 – الميزان في تفسير القرآن (الطباطبائي) محمد حسين – بيروت – مؤسسة الأعلمي 1393 – 1973.

33 – مجمع البيان (الطبرسي) الفضل بن الحسين 561 ه – بيروت – دار احياء التراث العربي.

34 – المستدرك علي الصحيحين (الحاكم النيشابوري) محمد بن عبدالله (405 ه) الرياض – مكتبة ومطابع النصر.

35 – مروج الذهب (المسعودي) علي بن الحسين (346 ه) بيروت – دار الأندلس 1385 ه – 1965 م.

36 – المغازي (الواقدي) محمد بن عمر بن واقد (207 ه) بيروت – عالم الكتب.

37 – مختار الصحاح (الرازي) محمد بن أبي بكر (666 ه) بيروت – دار الكتب العربية.

38 – مكارم الأخلاق (الطبرسي – الحسن بن الفضل) بيروت – مؤسسة الأعلمي.

39 – الموضوعات في الآثار والأخبار (السيد هاشم معروف) دار الكتاب اللبناني – 1973.

40 – نهج البلاغة (الإمام علي) جمع الشريف الرضي (604 ه) – بيروت – مؤسسة الأعلمي.

41 – النصائح الكافية (السيد محمد بن عقيل – 1350 ه) بيروت – دار الزهراء.

42 – نور اليقين (مجموعة الشيخ عبد الحليم محمود) بيروت.

43 – وسائل الشيعة (الحر العاملي) محمد بن الحسين (1104 ه) بيروت – دار احياء التراث العربي.

الفهرست

مقدمة الناشر..... 5

التقديم..... 7

المقداد بن عمرو .. ولماذا سمي..... 15

صفاته وأخلاقه..... 18

إسلامه... 20

مع الرسول الأعظم في دار هجرته.... 23

عام الحزن..... 25

أول هجرةٍ للرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ)..... 28

خروجه إلي الطائف.... 29

النبي (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) يعرض نفسه علي القبائل..... 32

دخول الإسلام يثرب... 34

الإعداد للهجرة..... 39

مبيت علي 7 في فراش الرسول (صَلَّي اَللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ).... 41

الهجرة.... 42

النبي الأعظم في المدينة..... 48

بين الرسول الأعظم والمقداد... 51

من مواقفه البطولية..... 57

في سرية « نخلة » ينقذ اسيراً فيسلم..... 59

في غزوة بدر الكبري... 63

غزوة أَحد..... 81

غزوة الغابة.... 109

غزوة خيبر..... 115

زوجته وأولاده..... 123

موقف الإسلام من الزواج... 125

قصة جويبر وجلبيب..... 128

تزويج المقداد بن الأسود.... 131

بين الأشعث بن قيس والإمام علي 7..... 133

زوجة المقداد وأولاده..... 136

الشوري ، وموقف المقداد منها..... 139

شبح المؤامرة... 141

فكرة الشوري وابعادها..... 143

سير عملية الشوري وما أفرزت من تناقضات.... 153

خلفيات الشوري..... 159

بدء المعارضة..... 161

قصة الهرمزان ، ومقتله علي يد بن عمر... 164

بين المقداد وعثمان... 168

تَشيُّع المقداد ودعوته الناس لعليّ... 173

علي لسان النبي(صلي الله عليه و آله) والأئمة..... 178

وفاته 2.... 180

أسماء الذين رووا عنه..... 182

المصادر والمراجع 183

الفهرس....187

ص: 188

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹